

خارطة طريق
لمعضلة العراق

خارطة طريق لمعضلة العراق

علي الأديب

دار بابل

الطبعة الأولى
1433 هـ - 2012 م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

دار بابل

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

المحتويات

9	مقدمة
15	تمهيد
15	خارطة طريق لمعضلة العراق

الفصل الاول

مفاهيم نفسية وتربوية

37	نزعاتنا الفطرية كيف نوجهها
41	سلوكنا اليومي بين العادة والمرونة
44	الإسلام ودوره في تعديل السلوك الفردي
48	أثر الاستهواء في تكوين الاتجاهات والعواطف
52	الانماط السلوكية
55	دوافع السلوك اللاشعورية
59	سمات الشخصية السوية
62	كيف تتكامل شخصياتنا
66	كيف تتكون عواطفنا واتجاهاتنا النفسية
69	كيف تتكون عواطفنا وتتطور
73	نزعات العدوان و التسلط عند الإنسان
77	الانسان بين الانفعال والعاطفة المزاجية
81	العقد النفسية
84	حب الذات او النرجسية

88	التضج الانفعالي والصحة النفسية
91	عاطفة اعتبار الذات
94	الحيل العقلية اللاشعورية
98	اثر الانفعالات في التفكير والسلوك
101	اتجاهاتنا النفسية واثرها في تحديد ارائنا
105	ملامح الشخصية غير السوية
108	الارادة
112	امراض الارادة
115	الارادة بين الرغبة والانفعال والتعقل
119	كيف نربي ارادتنا

الفصل الثاني

مقالات في المجتمع

125	انواع الجماعات وخصائصها
128	العوامل المؤثرة في قوة وتماسك الجماعة
131	مميزات العقلية العامة للجماعات البشرية
134	أسس تكوين الامم والشعوب
137	الزعامة . . خصائصها ووظيفتها
141	التاثير المتبادل بين الفرد والمجتمع

الفصل الثالث

مقالات في الاسرة

147	دور الاسرة في التنشئة الاجتماعية لافرادها
151	دور الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية

155.....	حاجة الابناء الى حب والديهم
158.....	حقوق الابناء
160.....	ملاحظات في التربية الاسرية
164.....	دور الام في التربية

الفصل الرابع

مقالات في الفرد

171.....	مراحل النمو الاجتماعي للفرد
175.....	انواع السلوك الفردي
179.....	الشباب بين مشكلات الحاضر وآمال المستقبل
183.....	من محركات السلوك عند الافراد
187.....	مستويات التكوين الخلقي لدى الفرد
191.....	تكامل الشخصية وتحقيق السعادة الفردية
195.....	تفسير السلوك اللاشعوري عند الفرد

مُقَدِّمَة

مع أن التاسع من نيسان عام 2003، أحدث قطيعة بين العهد الديكتاتوري والمرحلة الديمقراطية التي قامت على انقراض الديكتاتورية، ووضع من الناحية السياسية حدا فاصلا بين مرحلتين. إلا أن الواقع يشير الى أن القطيعة لم تكن بالقدر نفسه على الصعيدين الاجتماعي والثقافي، إذ بقيت الكثير من الافكار والمفاهيم قائمة على الجوهر القديم نفسه، رغم ما أجريت عليها من محاولات لاعادة الانتاج والتسويق بعد تغيير بعض المعالم الشكلية.

هذه الحقيقة التي باتت واضحة بشكل كامل بعد مرحلة الثماني سنوات، هي النقطة المركزية التي سننطلق منها في تشخيص الواقع العراقي خلال المرحلة الراهنة، وحجر الزاوية للرؤية التي نقدمها هنا، من أجل وضع خارطة طريق للمعضلة العراقية تستطيع ان ترسم معالم دولة عصرية تتجاوز محاولات البعض لابقائها في فلكها القديم، كوسيلة لمنع انفلاتها من الماضي والدخول في عالم جديد بمعنى الكلمة.

الصراع الذي نراه ماثلا في كل نواحي الحياة العراقية الآن، ما زال يدور بين منهجين وثقافتين وسلوكين، يحاول كل منهما أن يتسيد الساحة ويتحكم بها. صراع تعود جذوره الى ثلاثة عقود مضت، حاول خلالها نظام البعث وبكل ما يمتلكه من قوة،

تغيير ثقافة المجتمع والجنوح به الى مسارات بعيدة عن حقيقته الذاتية. مستهدفا تشتيت هويته الى الدرجة التي يمكن من خلالها وصف تلك المرحلة بانها مرحلة "الذات المفقودة" على المستوى الكلي، وإن ظهرت على مستوى الأفراد أو الأسر أو بعض الفئات الاجتماعية ممانعة كبيرة للمسار الذي كان يراد لها أن تسير فيه.

مرحلة ما بعد البعث واجهت هي الأخرى مصاعب اجتماعية وثقافية وسياسية من نوع جديد، هي في الحقيقة افرازات لتراكمات متجذرة بقوة تحت السطح، وجدت سبيلها للظهور من خلال التعقيد الذي شاب العملية السياسية وظروف الاحتلال. فظهرت وفقا لذلك، على المستوى الاجتماعي والنفسي، ثقافتان وقوتان، الأولى قديمة ترفض الإقرار بالواقع الجديد وعملت وما زالت تعمل بشراسة على ممانعة اي إقرار أو تسليم بالواقع الجديد. وأخرى جديدة تسعى لترسيخ واقع جديد بعيدا عن الديكتاتورية، رغم كل الانتقادات التي وجهت لها بكونها بالغت في تقييم الواقع، والاتهامات التي اطلقت عليها احيانا بأنها تقمصت دور الجلاذ بعد ان كانت الضحية. هذا الشكل من الصراع الذي نشأ بين هاتين القوتين أو الثقافتين، هو ما ساهم، كما نعتقد، في صناعة نوع من الفوضى التي تسببت بايصال البلاد الى ما هي عليه الآن.

ويبدو أن رحلة البحث عن علاج للواقع العراقي القائم، سيكون مهمة شاقة في ظل وجود هاتين القوتين المتصارعتين اللتين أوشك الصراع بينهما أن يدخل البلاد الى حافة الحرب الأهلية. ومع عدم الالتفات الى القضية المركزية المسببة لما آلت

اليه الأوضاع، سنبقى ندور في الحلقة نفسها، إما بسبب غياب الوعي الكامل بحقيقة المشكلة ومدياتها، أو غياب الاهتمام بها بسبب إنهماك أغلب القوى الفاعلة على الساحة العراقية بتفاصيل تطراً على الساحة بشكل شبه يومي، وربما يتجذر السبب الأخير في عمق المشكلة، ويختفي في طياتها.

وفي حال ظل الوعي بهذه الحقيقة غائباً، فأن كل علاج سيكون عقيماً، وكل محاولة للتغيير سيكتب لها الفشل.

تحيلنا هذه الفكرة مباشرة الى الشق الآخر من المشكلة، فنجاح عملية التغيير لا يرتبط فقط بادراك هذا الخلل، بل يتعداه الى وجوب الاهتمام باتخاذ اجراء آخر مساو له في الأهمية، يتمثل بازالة الآثار الهدامة والمفاهيم الغريبة الطارئة عن المجتمع العراقي، والبدء بتوجيه هذا المجتمع نحو المتبنيات التي يجمع عليها، كخطوة أولى لإعادة اعمار البلاد على أسس سليمة.

أما وإن الحلم قد تحقق بسقوط النظام الديكتاتوري الذي وقف بوجه كل تغيير اجتماعي ايجابي وكل ارادة صادقة لبناء المجتمع وفقاً لأسس مدنية معاصرة، فقد أن الأوان لأن نلتفت الى قضايا واهتمامات من نوع آخر نراها ضرورية، بل باتت اكثر الحاحاً من اي وقت مضى، سيما وان الوضع العراقي حقق نوعاً من الاستقرار على الصعيد السياسي والأمني بعد سنوات عجاف من القتل والتدمير العشوائي.

آن لنا أن نبدأ بإعادة اعمار الانسان الذي نعتقد أنه أهم استثمار يمكن ان تركز عليه الدولة وتدفع بمواردها لتطويره

وبنائه، فهو الراسمال الحضاري والثقافي والتربوي الذي يمتلكه العراق، باعتباره رأس المال المستثمر، وفي ذات الوقت، هو المشروع نفسه.

ولعل استيعاب فكرة أن مرحلة الصراع لا يمكن ان تؤدي إلا الى المزيد من الفوضى وشتات الذات العراقية، هو الطريق الوحيد لإعادة ترميم ما تهدم من مفاهيم المواطنة الحقيقية. وإدراك حقيقة ان الانسان هو الحلقة المفقودة اللازمة لتشكيل دولة حديثة على انقاض دكتاتورية صماء هو ما ينقصنا فعلا للشروع بمرحلة اعادة اعمار الانسان كمدخل أساس لاعداد بناء البلاد برمتها.

سنقدم في تمهيد هذا الكتاب، رؤية لمعالجة الوضع في العراق والخروج بحل للأزمة التي يعاني منها، رؤية مبنية على استقراء الواقع العراقي وتعقيدات أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي نعتقد أن أسباب تدهورها وعوامل النهوض بها، تعود لجذور مترابطة في عمقها الماثل تحت السطح. فكما ان تداعي الجانب الاجتماعي يؤدي الى تداعي الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية كما تتداعى قطع الدومينيوس، فان اعادة البناء كاملا يبدأ من الجانب نفسه الذي يكون محوره الانسان. لذا فإن الوصفة التي سنقدمها للخروج من الأزمة، تبدأ من اعادة إعمار الانسان، والاستثمار في العقل البشري.

سيكون التمهيد في هذا الكتاب متصلا ومنفصلا في آن واحد مع الفصول اللاحقة، متصلاً لأنه يعنى بالجانب التربوي والنفسي للفرد والأسرة والمجتمع والتي تشكل محور الرؤية التي نثيرها

في التمهيد لحل معضلة العراق، ومنفصلاً لأنه يشكل وحدة قائمة بذاتها تعالج موضوعاً حيويًا نعيش تفاصيله يوميًا.

في هذا التمهيد سنرسم خارطة طريق، ونضع خطوطاً عامة وملامح مشروع للمشكلة العراقية، مع التركيز على جانب المشروع من الناحية الاجتماعية، على أمل أن نضع تصورات أخرى تتعلق بالجانب السياسي والجانب الفكري في مناسبات لاحقة، وإن كان هذا التمهيد سيضم إشارات كبيرة لها.

أما المقالات التي تشكل بنية الكتاب في فصوله الأربعة، فهي مجموعة مقالات كنت قد نشرتها في صحيفة الجهاد التابعة لحزب الدعوة الإسلامية خلال العامين 2000 - 2001، وهي الفترة التي زاوجنا فيها بين العمل السياسي ضد نظام البعث المستبد، والعمل التربوي الذي يمثل جوهر المرحلة التغييرية التي دعونا إليها في تلك المرحلة، والتي ما زال العمل على استكمالها وتطويرها هو المنهج الذي ارتضيناه لأنفسنا ونحن نسير بخطوات بناء الدولة العراقية الحديثة القائمة على الرقي الحضاري والمعرفي، والمرتكزة في كل هياكلها على الإنسان باعتباره القيمة العليا التي تسخر لها كل مقدرات البلاد.

ومادام الإنسان هو جوهر عملية التغيير والبناء وحجر الزاوية في مشروع بناء الوطن فإن الجوانب التي تعالجها الفصول الأربعة هي إسهامات في هذا الجانب من ناحية تربوية ونفسية لبناء الإنسان على أسس علمية موضوعية تدخل في التفاصيل الدقيقة لبناء الفرد والأسرة والمجتمع.

تَمْهِيْد

خارطة طريق لعضلة العراق

أول الطريق:

الاسئلة التي لابد من اثارتها اليوم وبقوة، تتمثل بالبحث عن الجهة التي تقع على عاتقها مسؤولية نقل المجتمع الى فضاءات جديدة تكفل له التفكير في بناء ذاته وتحديد هوية تجمع بين كل ابنائه؟. ما هي خارطة طريق مسيرتنا لبناء هذا الوطن؟. ما هو شكل الدولة التي نسعى لبنائها؟. وما هو القانون الذي نريده حاكما على الجميع وفاعلا في كل المراحل؟.

وبمعنى آخر، ما هي فلسفة الدولة التي يمكن أن تقر بها وتبناها جميع الأطياف والقوى السياسية وتناصرها كل الفعاليات الاجتماعية والمنظمات المدنية، بغض النظر عن من يكون على رأس السلطة، بحيث تهيأ للوطن مرونة وقدرة على البناء التراكمي. ثوابت ننتقل منها:

ونحن نضع ملامح مشروع التغيير لابد ابتداءً ان نغير زاوية نظرنا التي حكمت على فهمنا لطبيعة ما يجري في العراق على أنه حالة حرب وتصارع، علينا ان نغير ذلك الى فهم جديد يرتكز على فكرة مفادها أننا في ساحة منافسة وتسابق من اجل تطبيق

المشروع الوطني الذي نتفق عليه، لا أن يكون لكل منا برنامجا خاصا يتعصب له ويحاول ان يطبقه حتى لو كان يتناقض ويتضارب مع مشاريع الآخرين ويعزز حالة التخندق والتناحر بدلا عن التكامل والتعاون.

علينا ثانيا ان نبنى مفهوم القطيعة مع الماضي الديكتاتوري مع كل ماورثنا من أمراض وعقد وسلوكيات ومفاهيم ومتبنيات خاطئة تشبعت بها ثقافتنا السياسية والادارية والقانونية والاجتماعية والنفسية.

كما أننا لا غنى لنا ثالثاً عن تحمل الصدمة وتقبل المواجهة مع ذاتنا ومع تاريخنا؟، وأن نتقل من حالة التبجيل والتقديس المجرد الى التعامل بواقعية مع مفاهيم نحن صنعناها أو فرضت علينا نتيجة ظرف محدد وتمسكنا بها بحكم التقادم واعتقادنا بأنها معصومة ومقدسة وغير قابلة للمراجعة. وهذا يتطلب تهشيم للثقافة التي يعتقد بعضها انها ثقافة سليمة، مع أنها في حقيقتها ثقافة قائمة على أسس خاطئة ولا تلبي متطلبات المرحلة سياسيا واجتماعيا.

مراحل عملية التغيير:

إحداث إي تغيير حقيقي يتطلب المرور بثلاث مراحل مترابطة، هي على التوالي:

1 - مرحلة التغيير على مستوى الشعور: في هذه المرحلة، يكون الشعور بالحاجة الى التغيير كافيا للدفع باتجاه المرحلة اللاحقة لتبني مشروع التغيير، وهذا لا يكون إلا بعد تشخيص

الواقع ودراسته وتحديد الأرضية التي نقف عليها.

2- مرحلة التغيير على مستوى الشعار: وهي مرحلة اعلان البدء بتبني المشروع والسير في طريق التطبيق الفعلي لهذا المشروع وترجمته الى واقع عملي، دون الاكتفاء بالوقوف عند مستوى رفع الشعار في أوقات محددة من غير أن أن تسبقه مرحلة التشخيص والشعور الدافع لتبني التغيير واقعيًا، ولا تليه مرحلة التطبيق العملي.

3- مرحلة التغيير على مستوى التطبيق: وفي هذه المرحلة نتحول بعملية التغيير الى هدف دخل مرحلة التطبيق توظف من أجله جميع الموارد البشرية والمادية المتاحة، وفقا لأهداف قابلة للقياس من الناحيتين الكمية والزمنية.

الخطوط العامة لفلسفة الدولة:

واقع الوضع السياسي في العراق يشير الى أن العمل من دون خارطة طريق واضحة المعالم لا يمكن ان يحقق أي تقدم، وقد يعد بعضهم ما نعيشه الآن سوى فترة زمنية نقضيها كمشاريع فردية وحزبية وفئوية نشغل باجراء عمليات حسابية لما حققناه فيها من مكاسب آنية لانفسنا ولفئتنا التي ننتمي اليها، دون الالتفات الى ضرورة وضع فلسفة واضحة للدولة نصل من خلالها الى الهدف الوطني الذي ضاع بين المصالح الآنية، وحجبته الاهداف الفئوية، وحالت دون الوصول اليه الطموحات الفردية.

وضع فلسفة سياسية واقتصادية واضحة للدولة منسجمة

مع بعضها بشكل تام بحيث تكون هي محور الجوانب الأخرى، شرط لا بد منه لأي نهضة حقيقية تدفع البلد بالاتجاه الصحيح. فهذه الفلسفة هي ما يصلح أن يكون المعيار والنقطة المرجعية لكل مشاريع الدولة في مختلف القطاعات، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية. وفي الوقت نفسه، وكشرط لنجاحها، لا بد أن تكون محل اتفاق الجميع، على مدى كل المراحل وفي جميع الظروف، لضمان الوصول بها الى مرحلة التشغيل الكامل للمنظومة) لتكون هدفا قابلاً للقياس.

وتمثل رؤيتنا لصياغة فلسفة واضحة للدولة بالنقاط الآتية:

- على المستوى الوطني، تكون المواطنة أساس الثقافة مهما كانت الاختلافات في الرؤى والتصورات، فهي خارطة الطريق الوحيدة التي بإمكانها أن تكون حلاً للاختلافات مهما كبرت وتعمقت، وهي مرتكز الهوية الوطنية التي تعبر عن الذات الوطنية مهما اختلفت الانتماءات. فإشاعة مفهوم المواطنة ليس شعاراً للاستهلاك السياسي او الاعلامي، وانما هدف توظف لاجله إمكانيات العديد من مفاصل الدولة، ويحتاج الى سلسلة اجراءات، كما يحتاج الى زمن كاف لتثبيت أسسه وتركيزه في ذهن الامة.

- وضع سياسة اقتصادية تأخذ بنظر الاعتبار الواقع الاقتصادي العراقي، تبدأ بتشجيع القطاع الخاص والاهتمام بالاستثمار وتوظيف ميزة الاقتصاد الريعي القائم على الصناعة النفطية مرحلياً، مع العمل بخطوات عملية للانتقال بهذا القطاع من

- مرحلة الصناعة الاستخراجية الى مرحلة الصناعة التحويلية.
- الوصول الى مرحلة الانسجام في المنظومة القانونية والادارية للبلد، والتي تبدو الآن غير منسجمة مع بعضها وغير متوافقة مع المرحلة ولا تشجع على الاستثمار، ولا تلبي متطلبات الانتقال من المرحلة السياسية السابقة التي اتسمت بأنها ذات اقتصاد اشتراكي ونظام سياسي ديكتاتوري، الى مرحلة سياسية ذات طابع ديمقراطي واقتصاد يعتمد على اقتصاد السوق.
 - توفير البنية التحتية البشرية القادرة على تكريس مفهوم المواطنة والقادرة على تطبيق الفلسفة الاقتصادية للدولة، لتصل بها الى مرحلة قطف النتائج. وهذا يعني الاهتمام والتركيز على قطاعي التربية والتعليم والوصول بهما الى مصاف العالمية، وهذا ما نسميه الاستثمار في قطاع الانسان، أو "الاستثمار في العقل البشري".
 - تأهيل بعض القطاعات الحيوية في الدولة وتطويرها والوصول بها الى مرحلة القدرة الفعالة لاستعمالها كأداة للتغيير، ويتم ذلك عبر مرحلتين، الأولى تكون فيها هي الهدف، والثانية هي الأداة. في قطاع التعليم مثلا نحتاج الى خطوتين لكي نجري التغيير المطلوب:
- الخطوة الاولى:** مشروع لتغيير التعليم، وهنا يكون تغيير المنظومة التعليمية وتطويرها هو الهدف.

الخطوة الثانية: التعليم كمشروع للتغيير، وفي هذه المرحلة

يتحول التعليم بعد أن اجرينا عليه التطويرات اللازمة الى أداة لتحقيق الأهداف الكبرى في المشروع الأشمل.

كل خطوة من هذه الخطوات التي نذكرها باقتضاب هنا، لها في الواقع وفي عمقها، مجموعة برامج تفصيلية يمكن من خلالها تحويلها الى واقع عملي تنتقل به من مرحلة الشعار الى مرحلة التطبيق.

موروثات لا شعورية:

إحدى المصاعب الرئيسية التي نواجهها اننا ورثنا جملة من المفاهيم، ربما نعارضها ونرفضها على مستوى الخطاب الاعلامي والسياسي، ولكننا نمارسها على المستوى التطبيقي. نرفضها نظرياً ونقبلها عملياً، أولى تلك الموروثات التي عانينا منها بعد التغيير هي أننا غادرنا النظام الاشتراكي الذي كان يحكم البلد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، دون ان نمتلك القدرة على مغادرة (العقلية) أو (الثقافة) الاشتراكية التي من محدداتها الطاعة العمياء للسلطة والالتكالية والتكاسل وموت الابداع الخاص والمبادرة الشخصية.

النظام الوظيفي المطبق في الوزارات مثلاً، هو نظام اشتراكي قائم على عقلية وثقافة قديمة تنسجم مع النظام السابق ذي الحزب الواحد الشمولي. أما الآن فهناك تعددية ودستور ومبادئ وتوجه نحو اقتصاد السوق، مع هذا فنحن لا نمتلك نظرية نتعامل بها مع كل هذه المفردات في اطار موحد.

على الصعيد الاقتصادي، انعكس مفهوم الدولة الريعية في كل

نواحي الحياة، فالاقتصاد المعتمد على مورد أساسي واحد خلق حالة من الاتكالية عند الدولة وعند المواطن في الوقت نفسه، وهذا يعني عمليا ضمور أو غياب ثقافة المشروع الخاص، وترسيخ ثقافة اتكالية معتمدة كلياً على (الراتب الحكومي) الذي هو طموح وهدف أغلب الافراد في المجتمع. ثقافة الاتكال على الحكومة عززها النظام الاشتراكي ورسخها ظرف الحصار الاقتصادي الذي امتد لأكثر من عقد، وكان كافياً للتأثير في جيل كامل بشكل عميق. على المستوى الثقافي وكما في كل نظام شمولي، فإن الآداب والفنون التي كان يسمح لها بالظهور على السطح، هي التناجات التي تحصل على اذن النظام لأنها تسير في ركبه، في حين كان يضيق على الابداعات التي تشير ولو مجرد إشارة الى غير ما يريده ذلك النظام الشمولي، وهو ما أدى الى كبت الابداع وضمور المجالات الابداعية واضطرار الكثير من المبدعين الى الهجرة او الانكفاء على ذاتهم.

على مستوى الحياة الحزبية كان التعصب للحزب الحاكم وغلق الساحة عليه في جميع مؤسسات الدولة ومحاربة جميع الاحزاب السياسية الاخرى، والتعامل معها بعنف غير مسبوق، من سمات المرحلة التي أدت وكنتيجة مباشرة الى شيوع ثقافة (إنتقامية) وقمع للرأي الآخر، ورسوخ مفاهيم غير صحيحة على مستوى الحياة الحزبية، مما أدى لاحقاً الى ان يكون معنى مفردة المعارضة في قاموس العملية السياسية القائمة الآن، هو تحطيم المقابل والانتقام منه والتشهير به.

التشغيل الكامل للنظام:

المشكلة الرئيسية التي تواجهها اي منظومة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ومنها المنظومة السياسية العراقية، انها لا يمكن ان تؤدي نتائجها ما لم يسمح لها بالتطبيق على المستوى الشامل، كما انها من جانب آخر، لا يمكن قياس مدى نجاحها على المستوى الكلي ما لم تصل الى مرحلة "التشغيل الكامل للنظام". وهذا في الواقع جزء من الفوضى التي نشهدها في أغلب المفاصل الحكومية، إذ ان هناك ملامح لرؤية (فلسفة) واضحة للدولة ككل في المرحلة الراهنة، ولكنها مغيبة بسبب عدم الاتفاق على هذه الرؤية التي تؤهل الدولة للعمل كمنظومة واحدة. وعدم الاتفاق هذا ناتج عن الصراع بين القوى السياسية والاجتماعية التي تحكمها وتتحكم بها الرؤية الخاصة بكل منها، فتعمل على عدم السماح للآخر بأن يطرح مشروعه ليأخذ مداه في التطبيق، إذ أن لكل قوة من هذه القوى المتنافسة رؤيتها الخاصة التي تحاول ان تطبقها على الواقع العراقي الذي يمر الآن في طور التشكل ولم يتخذ نظامه السياسي والاقتصادي شكله النهائي بعد، رغم بروز بعض الملامح التي يرى البعض انها قابلة للتغيير والمراجعة. وفي ظل وضع كهذا (عدم تطبيق مبدأ التشغيل الكامل للنظام) لا يمكن لأحد ان يحظى بالفرصة الحقيقية لاختبار مدى نجاحه، فضلا عن حرمان البلد من أي تقدم.

غياب التطبيق الكلي لرؤية الدولة وعدم دخولها الى مرحلة

التشغيل الكامل، كان نتيجة حتمية لمسكلة عدم تعشيق الاجزاء مع بعضها مع ان الاجزاء التي تكون الهيكل الكلي موجودة بالفعل. ويمكن أن نشاهد هذا في الكثير من مفاصل الدولة على مستوى القوانين والتشريعات.

في قطاع التعليم العالي مثلاً، نسعى ونحن في موقع التنفيذ، لقلب معادلة مخرجات التعليم العالي حسب الاختصاصات التي تحتاجها عملية بناء الدولة، ففي حين كانت التخصصات العلمية تستقطب 40٪ فقط من مجموع مخرجات التعليم الثانوي، ارتفعت النسبة هذا العام لتجاوز النصف كمقدمة للوصول بها الى سقف الـ 60٪ من حجم الدراسة الجامعية. هذه الخطوة هدفها الأساس تلبية سوق العمل وتعزيز خطط التنمية التي تحتاجها البلاد للانتقال الى مرحلة اكثر تطوراً.

مساعي وزارة التعليم هذه، لا يمكن لها ان تنجح بشكل تام في حال انفصل عنها اداء باقي مفاصل الدولة العراقية، وهذا نموذج حي لما قد ينتج عن غياب التكامل في العمل المؤسسي، فخطوات وزارة التعليم ستكون محدودة الانجاز اذا لم تتوافق معها سياسة وزارة التربية التي تتولى عملية التوزيع الاولي للطلبة في الاختصاصات العلمية والادبية. فاذا اردنا ان تكون نسبة التغير الذي نشده عالية، يجب ان تقوم وزارة التربية التي تمثل مخرجاتها مدخلات وزارة التعليم، بسلسلة من الاجراءات التي تحقق هذا الهدف المشترك. في النهاية، تحقيق الاهداف المشتركة بين اجزاء الدولة هو عمل وواجب اركان الدولة ككل، وهذا يعزز ما أكدناه

سابقا من أن الدولة تحتاج الى فلسفة موحدة وواضحة لتحقيق اهدافها على المستوى الوطني.

الديمقراطية التوافقية:

حتمية التشغيل الكامل للنظام من اجل تحقيق هدف نجاح الدولة، يدعونا الى التفكير في مدى جدية النظام السياسي القائم الآن في العراق، وجدوى المعادلة السياسية التي تحكمه والمبنية على أساس الديمقراطية التوافقية. فاذا كان هذا النمط من الديمقراطية يقف حائلا أمام تطبيق فلسفة الدولة، وهو فعلا كذلك، فلا بد من الغائها والعمل بنظام الديمقراطية القائمة على أساس حكم الاغلبية السياسية (نقول الاغلبية السياسية، لا المذهبية ولا العرقية) لكي يتاح للأغلبية السياسية التي تصل الى السلطة عبر صناديق الانتخابات، أن تطبق برنامجها كاملا دون اي تقاطعات تبدر من الشركاء المفترضين، والذين قد يعمدون الى اتباع اسلوب اعاقة التطبيق، كأداة من أدوات الصراع السياسي القائم، أو من باب الخشية على ضياع الهويات الأصغر أو سعيا الى المحافظة على مصالح الجهات التي يمثلونها.

ما يؤسف له حقا، أن جهات سياسية متعددة وقفت دون نجاح بعض مؤسسات الدولة كي لا يحتسب النجاح لمن يقف على رأس السلطة أو الجهة التي يمثلها، وهذا يحيلنا مباشرة الى شيوع (ثقافة السلطة التنفيذية) التي يعتقد الجميع تقريبا أنها تمثل الشكل الوحيد من أشكال السلطة في العراق، متغافلين عن السلطات الموازية مثل

السلطة التشريعية التي يضعها البعض، نتيجة لقصور الرؤية وتراكم مخلفات النظام السياسي الديكتاتوري السابق في طروحات بعض التيارات السياسية، في درجة أدنى من السلطة التنفيذية، على العكس تماما من جوهر النظام الديمقراطي المستند على مبدأ الفصل بين السلطات.

وإذا كان هناك ما يمنع من الأخذ بهذا الخيار (خيار الأغلبية السياسية)، فإننا امام خيار تغيير مفهوم التوافق (الذي هو عبارة ملطفة للمحاصصة، كما هو الحال مع مبدأ (التوازن الوطني) الذي يتداوله ويتبناه بعض السياسيين)، بالطريقة التي لاتجعله يقف حائلا دون تطبيق النظام كاملا والمضي قدما بتطبيق المشاريع.

ولا أحد بإمكانه أن ينكر أن الديمقراطية التوافقية التي أعمدت كقاعدة للعملية السياسية وطريقة لإدارة الحكم في العراق خلال الدورات السابقة، فهمت بشكل خاطئ تماما، وتحولت الى معادلة غير واقعية تنص على أن المكونات الرئيسية الثلاثة في المجتمع العراقي هي مكونات متساوية في القوة المعنوية، وفي أحيان كثيرة متساوية في القوة الحقيقية في حال أضيفت اليها أو تدخلت فيها مؤثرات اخرى.

هذه المعادلة التي تتجاوز الحقيقية التاريخية والجغرافية لبنية المجتمع العراقي، تقود باتجاه تطبيق مفهوم خاطئ للديمقراطية مفاده أن (الكل يحكم). على العكس تماما مما تتطلبه عملية خلق الواقع المحفز للتقدم. ومما لا شك فيه أن هذه الارضية لن تكون مناسبة على الاطلاق للعمل، فهي تعني أن الكل يخاف من الكل،

والكل يريد أن يحكم ويتحكم بالكل.

قد تكون الرغبة باعتماد هذا المفهوم متأصلة لدى البعض، ويمكن فهمها من خلال خوف فئة من إعادة الماضي، وخوف الأخرى من المستقبل، وخوف الثالثة على حلمها الذي يتحكم به الخوف من الماضي والمستقبل معا.

ولكي تكون لدينا ضمانة بأن الديمقراطية تسير باتجاهها الصحيح والفعال، لا مناص اذا من تطبيق ديمقراطية الأغلبية السياسية التي تجعل من الطرف السياسي الرابع في الانتخابات، حاكما مسؤولا مسؤولة كاملة وخاضعا للمساءلة والمحاسبة امام الآخرين عن اي تقصير، وتجعل من الفريق الآخر معارضا سياسيا بالمعنى الحقيقي للمعارضة، يمتلك الحق كاملا في محاسبة الحاكم المسؤول ومستندا في عمله على أسس أسس المراقبة والنقد المنتج والفعال.

أرضية الديمقراطية:

لاشك ان العراق الخارج تواءم من رحم الديكتاتورية، دخل الى بوابة الديمقراطية دون التشبع الكامل بمفاهيمها، ودون اتفاق واضح على آلياتها. فكان الانتقال من أعتى ديكتاتورية الى ديمقراطية كاملة، سببا للفوضى والارباك الذي ساد وتحكم في عناصر ومقومات الدولة العراقية. لهذا رأينا كيف أن العملية السياسية التي بنيت على أرضية هشة لم تصل الى النتائج المتوقعة منها.

وهذا يدفعنا للاعتقاد بأن الأرضية الصالحة لنمو الديمقراطية ونجاحها، هو توسيع مديات انتشار الثقافة الديمقراطية بين أوساط الأمة. وبمقدار ما تنتشر الثقافة وتزول الأمية الثقافية فضلاً عن الأمية الأبجدية، يمكن للمواطن أن يساهم في صناعة القرار بجدية، وإلا سيكون المواطن تبعاً لأفكار ودعايات مضللة قد تنطلق من هذا الجانب أو من ذاك من أصحاب المصالح من القيادات السياسية او الاجتماعية.

ومن الثابت أن الشعوب التي لا تصل الى الحد الأدنى من الوعي، لا يمكن أن يركن لها في إنتاج القرار. لهذا نعتقد بأن المعرفة ورفع مستوى الوعي الثقافي في المجتمع الراغب بتطبيق الديمقراطية، هي مسؤولية جماعية لا بد أن يتشارك فيها الجميع بأقصى درجات الفعالية. وعندما نقول إن محو الأمية الثقافية أمر لا بد منه، فهذا يعني أن الذين يزاولون اليوم فعل المعرفة تقع على عاتقهم مهمة أساسية، هي الاتصال بالجمهور ومشاركته همومه وتزويده بالمعلومات الكافية التي تتيح له أن ينتخب ويختار ما هو خير له وخير للمجتمع. إما أن ينتخب الإنسان في ظل أجواء توصف بانها ديمقراطية ويلقي بصوته في صناديق الاقتراع تبعاً لرئيس عشيرته وما يقول، أو تبعاً لرئيس حزبه أو لرئيس قوميته، فهذا هو التظليل الخفي، وبالتالي لن تكون هذه الديمقراطية إلا قياس لشرائع معينة في المجتمع قادرة على التحكم بمصيره.

الديمقراطية في العالم هي في الحقيقة أغلبية تحكم أقلية، ولكنها تراعي مصالح الأقلية ولا تتحكم في مصيرهم أو تعسف

في سن قوانين ضدهم، فهو حكم للأكثرية لمراعاة حقوق الأقليات. هذه هي الديمقراطية التي انتشرت في العالم وهذه هي الديمقراطية المنشودة التي نريدها أيضا لبلدنا، لكي يكون شبيها في مزاولته للسلطة مع ما يحدث في دول العالم، لكننا اليوم انتخبنا ديمقراطية من نوع آخر، ديمقراطية سميت بالتوافقية، هذه التوافقية استدعتنا إن نشرك كل من نجح في العملية الانتخابية في الحكومة.

مجتمعات نموذجية:

هناك الكثير من الشعوب التي عانت من ظروف قاسية قد تكون شبيهة لما مر به العراق، وربما أقسى وأكثر ارباكا، مع هذا لم تستسلم للواقع أو تترك للظروف والمتغيرات أن تتحكم بها كيفما تشاء، بل عمدت الى اختيار أفضل الممكنات المتاحة امامها ووضعت لنفسها خارطة طريق استطاعت من خلالها الوصول الى مرتبة متطورة نافست من خلالها العديد من الدول المتقدمة في العالم، الى الحد الذي تمكنت فيه من تحويل موازين القوة الاقتصادية العالمية الى صالحها. وربما هذا يفسر حجم الخشية التي تنتاب الولايات المتحدة الأمريكية من ان تهيمن دول مثل الصين واليابان وماليزيا على الأسواق التجارية التي كانت حتى وقت قريب حكرا عليها.

الدول التي باتت تعرف الآن بالنمو الاسيوية، ابتدأت رحلتها نحو النمو والتطور من نقطة الصفر، وكان اغلبها أدنى من العراق بكثير من حيث حجم الموارد الاقتصادية وباقي متطلبات التطور،

لكنها تمكنت بشكل مذهل من تفعيل العامل الرئيسي في تطورها وصعودها، وهو ترسيخ قيمها الذاتية في ذهن مواطنيها لاستعادة تكوين الهوية الشخصية لها، باعتباره الطريق الأمثل لتثبيت ثقة المواطن بالدولة وثقة الدولة بالمواطن، وصولاً إلى النقطة المحورية التي من خلالها انطلقت هذه البلدان في طريق التقدم المعرفي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي.

على مستوى التركيبة العرقية والسياسية والاجتماعية للبلدان التي حققت أعلى نسب التطور، يبدو واضحاً أن الوصول إلى حالة انصهار المكونات في بوتقة فاعلة واحدة يمكن أن يفضي إلى حالة من التقدم رغم تعدد هذه المكونات وتنوعها، والنموذج الهندي خير دليل على إمكانية تحقيق هذا النوع من التطور، فعلى الرغم من وجود أكثر من 450 ديانة وطائفة ومعتقد فكري في الهند، تمكنت الدولة الهندية من احتلال مراتب متقدمة في سلم الدول المتطورة بعد أن انسجمت كل هذه الديانات والطوائف عبر حزب واحد هو حزب المؤتمر الهندي.

الشيء نفسه ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية التي تمثل قاعدتها الاجتماعية مجموعة من الشعوب المهاجرة قدمت إلى القارة الأمريكية من من مختلف بقاع العالم وانصهرت مع بعضها لتؤسس نظاماً ديمقراطياً تمكن من استيعاب كل الجنسيات والانتماءات التي يتكون منها الشعب الأمريكي.

بالنسبة لنا، لا يمكن الركون إلى الأفكار السلبية التي تقلل من إمكانية اللحاق بباقي دول العالم التي تمكنت من ترسيخ

ديمقراطيات راسخة وقطعت اشواطاً كبيرة في مسارات التقدم. لدينا امكانية كبيرة للالتزام بما الزمت به مجتمعات العالم المتقدم نفسها للوصول الى وضع متقدم.

المسافة بيننا وبين باقي هذه المجتمعات ما زال واسعاً، لكن فرصتنا كبيرة لتحقيق الهدف المنشود، خصوصاً أن الحاجة ملحة في هذه المرحلة أكثر من أي مرحلة سابقة، للاهتمام أكثر فأكثر بالتحسين النوعي في مجالات الحياة كافة. فحجر الزاوية في أية عملية للتطوير والنهضة والتغيير، تبدأ من البناء العمودي للانسان. ومن المؤكد أن هذا التوجه لا يعني مطلقاً الاكتفاء باستنساخ تجارب الآخرين ونقل أحد النماذج العالمية نقلاً حرفياً لتطبيقه على التجربة العراقية، فنحن نمتلك منظومة واسعة من القيم والمبادئ التي تشكل هويتنا وتختلف في الكثير من تفاصيلها عن باقي الشعوب. فكل مجتمع من المجتمعات إنما يعرف بخصائصه الذاتية وهويته المتفردة التي يبني على أساسها ركائز نهضته. مع هذا، فهناك الكثير من التجارب النموذجية لدول عاشت أوضاعاً قريبة الشبه بأوضاع المجتمع العراقي، مثل ماليزيا ودول شرق اسيا التي تمكنت رغم تلك الاوضاع من تحقيق نمو كبير وتطور مشهود له.

هذه التجارب، بلا شك، تصلح أن تكون تجارب انسانية يمكننا استعارة بعض مفاصل تجربتها بعد ان نجري عليها عملية (عرقنة) او (تعريق) لتكون ذات هوية خاصة بنا.

كل الشعوب التي نهضت من رماد الحروب، تمكنت من

بناء إنموذجها السياسي والاقتصادي الناجح مع الاحتفاظ بالنظام الأخلاقي والاجتماعي الخاص بها، ولم تكن هذه الشعوب في يوم من الايام مضطرة لسيان أنها جزء من حضارة او تاريخ له جذور راسخة في عمق التراب الوطني، من اجل تحقيق التطور الذي تطمح اليه. بل على العكس، تحملت الصدمة التي واجهتها دون ان تفقد ملامحها الأساسية وتتعرض هويتها للانكسار أو الضياع. خلال القرن الماضي، تعرضت شخصية الفرد الأوربي للانكسار، ودفع نتائج باهضة للحرب العالمية الاولى التي أودت بحياة الملايين ودمرت اقتصاد العالم لسنوات. وتلاحقت فيما بعد انكسارات من انواع مختلفة كان منها الأزمة العالمية التي تعافت منها البلدان الغربية بالتزامن مع صعود النازية. وقبل ان ينتهي العقد الرابع كان الجنس البشري كله ينتظر بقلق، أكبر مواجهة في التاريخ الحديث حين دخلت اغلب بلدان العالم الحرب العالمية الثانية التي اعادت رسم الخرائط السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية على مستوى العالم بأسره.

في العراق، لم يكن الأمر حكراً على الانكسارات المتتالية التي عانت منها شخصية الفرد العراقي خلال الـ 100 سنة الماضية، بل امتدت لتشمل حتى القرون المظلمة للاحتلالات الاجنبية والعهد العثماني الذي أستمّر لأكثر من 380 عاماً.

طوال كل هذه السنوات، كانت الهوية العراقية تشبه الى حد بعيد، وجه غيب ملامحه الحروب والصراعات والفقر. وكانت الخطوط والتفاصيل الدقيقة لهذا الوجه تشكل باعتباطية، ولعل

من المنصف القول انها غير قابلة للفهم حتى الآن.

حين أوشك العراقيون على انتزاع انفسهم من براثن الرجل المريض، كانت الطروحات التي ظهرت الى السطح متناقضة تماما. صاغت ملامح البلاد بين الرغبة في الخلاص من التسلط العثماني المتستر بالانتماء الاسلامي، وبين الخشية من نتائج الاستسلام للنفوذ البريطاني الذي حمل صفتين متناقضتين الى اقصى حد، وهما صفة "المحرر" الذي خلص البلاد من الاحتلال العثماني، و"المحتل" الذي سيطر على مقدرات البلاد بشكل كامل.

المفارقة نفسها عاشتها الهوية العراقية المشتتة، حين فرض على العراقيين ان يعيشوا حالة الخيار الصعب في ربيع العام 2003، ففي حين لم يكن أمام العراقيين أي فرصة للخلاص من الحكم الشمولي لحزب البعث وهو العهد الأكثر قسوة في تاريخ العراق المعاصر، كان عليهم في الوقت نفسه مواجهة البديل الأكثر مرارة وهو "الاحتلال الاجنبي" على يد القوات الامريكية.

وما بين "تحرير او احتلال عام 1917" و "احتلال وتحرير عام 2003"، عاشت الهوية العراقية قرابة القرن من الانكسارات المتلاحقة التي شتت الهوية العراقية وفرضت على الانسان العراقي أن يعيش مرحلة التيه التي سبقت، وربما اعقت هذين الزمنين.

سنوات ما بعد العام 2003 كانت مشحونة بعمليات القتل والتدمير، للانسان والمجتمع في الوقت ذاته، وقادت عملية التدمير الكثير من القوى والارادات الخارجية التي برعت في صناعة

الموت، وعملت على تعميق الهوية بين مكونات المجتمع العراقي عبر تقسيمه الى طوائف ومذاهب وقوميات متصارعة.

هذا النوع من الصراع المدمر وغير العادل، دفع الانسان العراقي إلى الانكفاء على الهويات الاصغر، وساهم في تعميق ملامح الهويات الجزئية الى الدرجة التي طغت فيها على الهوية الوطنية التي تبدأ اول خطوة لاستعادتها بمواجهة قوى الارهاب والتطرف بإرادة حاسمة وحازمة. ووضع اسس لصناعة الحياة والمضي قدما بهذا المجتمع، ومغادرة الظلمات التي حاول الآخرون إحاطتنا بها، بعد التعرف على الارضية التي نقف عليها، ابتداءً من التعرف على واقع المجتمع العراقي بنظرة موضوعية.

الفصل الأول

مفاهيم نفسية وتربوية

نزعاتنا الفطرية كيف نوجهها

من المؤكد علميا ان الوقوف في طريق اشباع النزعات الفطرية لدى الفرد يؤدي الى نتائج وعواقب تضر بالنمو النفسي الطبيعي للفرد، ويظهر اثرها في تصرفاته وسلوكه وعلاقاته مع الآخرين، ولذلك كان لابد للسلوك الغريزي ان يتعرض لانواع من التعديل والتهذيب بحكم عوامل اجتماعية وتربوية ونفسية خاصة لكي يكون مقبولا ومستساغا وبعبارة اخرى فان النزعات الفطرية التي تشكل الطاقة النفسية الكامنة لدى الفرد تتمرد على القمع والحجر فتتخذ لنفسها سبيلا مبررا للظهور والبروز بفعل عوامل ومكونات لاشعورية تتراكم عبر تجارب عديدة ومديدة.

فعملية (الاعلاء) التي يستعملها علماء النفس تعني ان تشير بالطاقة الغريزية في اتجاه راق وعال يحترمه المجتمع ويستفيد منه ويعود على الفرد بالاحترام ايضا وقبوله لنفسه، فحب الاستطلاع مثلا يمكن ان تسير نحو الكشف والاختراع، ودافع الحل والتركيب يسير نحو بناء كل عمل صالح ونحو هدم كل ما هو ضار، والميل للمقاتلة يسير نحو مقاتلة الامراض الجسمية والاجتماعية ومقاتلة ما من شأنه الاضرار بكيان المجتمع بدلا من ان تسير هذه النزعات بالفردية باتجاه اعمال مضررة وتخريبية كما يفعل ذلك العديد من الناشئة نتيجة عدم التوجيه والتربية واضطراب في الشخصية. ويمكن

للطاقة الفطرية الغريزية ان تتعرض لنوع آخر من التعديل وهو الذي يسمى (بالقلب) وهو ضد(الاعلاء) فبدلاً من اتجاه الطاقة الغريزية باتجاه نافع تسير في اتجاه ضار وتوقع بالفرد والمجتمع او كليهما. فالسرقة تعدّ قلباً لنزعة حب التملك، والاستهزاء بالناس والامعان في احتقارهم يعدّ قلباً للميل الى السيطرة، وممارسة الانحراف الجنسي بكل انواعه يعدّ قلباً للغريزة الجنسية التي يرجع اليها سر البناء الاسري واستمرار النوع.

ومن امثلة (القلب) كذلك قيام الفرد بتنظيف يديه وغسلها مرات عديدة في مدد متقاربة، ويطلب من الآخرين غسل كل ما يقدمونه له بدقة ولا يقرأ كتاباً تناوله غيره الا بعد مسح غلافه بمادة مطهرة، وهو لهذا يمتنع عن مسك مقابض الابواب او الجلوس على مقاعد السيارات العامة ويحاول تجنب مصافحة الآخرين، واذا ما اقدم على ذلك لسبب او لآخر يسارع الى غسل يديه فوراً ولعدة مرات، وهكذا نجده منشغل الذهن طول الوقت بالخوف من التلوث، وحقيقة الامر ان هذا يعدّ (قلبا) لغريزة الخوف.

اما النوع الثالث من تعديل الطاقة الفطرية الغريزية فيسمى بـ(الابدال) ويقصد به انشغال الفرد عن اتجاه غريزي معين باتجاه آخر يختلف عن الاتجاه الاول في اصله، فالمرهق يشغل اوقات فراغه بالفعاليات الرياضية والرحلات والحضور في معسكرات الشباب والانشغال ببعض الاعمال الفنية والمهارات اليدوية وبذلك ينصرف عن الانشغال بالنواحي الجنسية ويصرف طاقاته الحيوية في تلك المجالات لانه يعيش في مرحلة قد لا يكون معداً لاشباعها

بالزواج بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

والفرق بين الابدال والاعلاء ان الطاقة الغريزية الفطرية في الاعلاء يتحول مجراها الى مجرى جديد يختلف عن مجراها الاصلي، فاذا اعتدى عليك شخص مثلا فان الاعتداء عليه يكون سيرا بغريزة المقاتلة والسيطرة في المجرى الطبيعي ولكن اذا قابلت الاعتداء عليك بالصفح والعفو مع قدرتك على الرد بالمثل فان اثبات الذات عند هذا الطريق يكون اعلى من اثباتها عن طريق الرد بالمثل او الانتقام، اما في (الابدال) فان الفرد يشغل نفسه بنشاط اخر يختلف في طبيعته اختلافا كليا عن النشاط الاصلي فينصرف الى عمل او رياضة بدلا من ان يتجه للانتقام.

وكل انواع التعبير المحدد والمنظم الراقي الجديد للطاقة الغريزية يتضمن بعض (الكبت) لاساليب التعبير الاخرى غير المقبولة ومع ذلك فان الاشباع الغريزي الراقي الجديد يقوم بدور تفريغ الطاقة الحيوية الفطرية المخزونة للفرد بالارتياح والرضا والتوافق النفسي بما يضمن صحته النفسية في الوقت نفسه.

وللانسان مجال واسع للاعلاء والابدال في طاقته الغريزية لما يتمتع به من مرونة وذكاء ومجتمع متميز بالقوانين والشرائع الالهية والقيم الاخلاقية ومختلف الامكانات، ولهذا اصبحنا نصف سلوك الانسان بالشر والخير تبعا لمقاييس اجتماعية اخلاقية ولا نصف سلوك الحيوان بمثل هذه الصفات لانها تصدر عن طاقة غريزية عvisية على التغيير والتعديل غالبا.

ومن هذا نفهم بان من اسس التربية السليمة والجادة والهادفة

اعترافها بالنزعات الفطرية الغريزية واعترافها بضرورة العمل على توجيهها في المسالك والمجاري الرشيدة التي يقبلها المجتمع ويقرها ويقدمها لمصلحته ولمصلحة الفرد نفسه وبما ينسجم مع معتقدات واحكام الشريعة الحققة.

سلوكنا اليومي بين العادة والمرونة

لو راقب كل فرد نفسه من لحظة استيقاظه حتى يعود الى فراشه ليلا، لوجد ان اغلب افعاله وتصرفاته لا تعدو ان تكون صورا تتكرر يعينها يوما بعد يوم، فاسلوبه الخاص في حديثه ومشيته ومأكله وملبسه ومشربه واشغال اوقات فراغه، بل واسلوبه في ضحكة وتألمه وتفكيره بالاضافة الى مواعيد نومه واكله وذهابه الى عمله كل تلك تكرر على وتيرة واحدة ثابتة لا تتغير.

فسلطان العادة يتحكم في القسم الاعظم من سلوك الانسان، حتى انه روي عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ان العادة طبيعة ثانية، وذهب بعض العلماء الى ان للانسان ميلا فطريا الى تكرار ما افه من اساليب وتصرفات وتفضيل ذلك على الجديد.

وربما كان ميل الانسان الى تكرار المألوف يرجع الى انه ينزع بطبعه الى بذل اقل جهد للوصول الى غايته، او لان المألوف يعفينا من تركيز الانتباه لادائه، بما يتيح لنا اداء اكثر من عمل في وقت واحد، وقد يكون سببه في الوقت نفسه توجس الانسان من الجديد ومن المجهول. والعادة وهي استعداد مكتسب ودائم لاداء عملنا الاعمال - حركيا كان ام عقليا ام خلقيا - بطريقة آلية مع السرعة والدقة والاقتصاد في الجهد، مثل عادة السباحة والكتابة وعادة ضبط النفس وعادة تركيز الانتباه في القراءة او النظافة او

اعادة التفكير بالاسلوب المنهجي والعلمي.

وسلطان العادة او حكمها على الفرد يكون بميله القوي الى تكرار السلوك المؤلف والتشبث به، ومقاومة ما عداه من سلوكيات جديدة او غريبة، فمن اعتاد ان يرضي دافع الجوع باطعمة اعدت بطريقة خاصة رفض تناولتها ان اعدت بطريقة اخرى، ومن اعتاد ان يتلمس الراحة عن طريق القراءة رفض ما يقترح عليه من الاشتراك في لعبة من الالعاب او الذهاب الى المتنزهات. كأ العادات نفسها اصبحت دوافع سلوكية تحملنا على الاستمرار في المؤلف من سلوكنا، بدلاً من التكيف للمواقف بطريقة مرنة واصطناع اساليب اخرى لارضاء دوافعنا الفطرية.

وفي الحقيقة ان العادات تسهل على الفرد اداء اعماله وتوفر له كثيراً من الجهد والوقت كانا يضيعان لو تعين عليه ان يبدأ كل يوم جديد ببرنامج واساليب جديدة، لذا فان العادة تسهل عملية التكيف وهي ضرورية في بعض اشكالها الاساسية، غير ان التكيف يتطلب قدراً من المرونة.

حتى العادات الحسنة والمستساغة ان لم تكن على خط من المرونة عطلت التكيف وعوقته بدلاً من ان تسهله وتسرع، فطالب المدرسة قد يعتاد المذاكرة او النوم في ساعة معينة ولكن في حالة حدوث اي تغيير في هذه المواعيد قد تعطله عن المذاكرة او النوم، ومن اعتاد على طريقة تدريسه ومذاكرته ان يشرح عبارات الكتاب واحدة واحدة ويجزئ مضامينها لا يقوى على ادراك واستنتاج الكليات والنظريات من مجموع ما يقرأ الا نادراً، والعادة بعد ذلك

ليس من السهل تغييرها او اقتلاعها خاصة عند الكبار الراشدين، ومن العادات ما تحتاج الى بذل جهود كبيرة لتحويلها او الاقتلاع عنها، قد تطول او تقصر.

ومع ذلك فان بعض العادات تبقى عصية على التحويل والتغيير فضلا عن تركها او اقصائها مهما كان الفرد صادق العزم جادا في مسعاه. من امثال هذه العادات المستعصية الاسراف في قضم الاظافر عند الاطفال او الافراط في غسل اليدين عشرات المرات في اليوم عند الكبار، او عادة الاستسلام التام والمتواصل لاحلام اليقظة بحيث يصبح الفرد عاجزا عن تركيز انتباهه ولو الى حين. ومن امثالها ايضا الادمان على بعض انواع المخدرات، فالخوف من القانون ومن السجن وكذلك الخوف من الامراض الوييلة والموت المبكر لا تكفي لردع المدمن وحمله على الاقتلاع عن عادته. غير ان امثال هذه العادات المستعصية تعتبر اعراضا لاضطرابات وامراض في الشخصية لا يمكن اقتلاعها الا عن طريق العلاج النفسي وعلى مدى زمن طويل.

فتحن اذا امام صورتين للعادة، صورة ايجابية، تساعدنا على تدبر امورنا اليومية وقضاء حاجتنا بالسرعة والجهد المعقولين، واخرى سلبية قاتمة، تعطل طاقاتنا وقدرتنا على التكيف وتجربنا بعيدا عن مجرى الفطرة السليمة والمستساغ من التصرف والسلوك. وما علينا لكي نبلغ مستوى التوازن السلوكي الا السعي وبذل المزيد من الجهود للوصول الى الحالة الصحيحة فنعدل من عاداتنا السيئة ونعزز عاداتنا الحسنة بالجهاد المستمر الذي نعتنه الاسلام بأنه الاكبر.

الإسلام ودوره في تعديل السلوك الفردي

تسعى المجتمعات البشرية دائما لتعديل سلوك مواطنيها، فالقادة وعلماء الدين والمصلحون ورجال التربية والمفكرون يسعون دائما لتعديل سلوك الناس الذين يتولون توجيههم وقيادتهم، فالقادة يسعون لتعديل سلوك أتباعهم كي يتسق مع فلسفاتهم وعقائدهم وآرائهم ومع برامجهم في الإصلاح والتطور، والمرشدون الدينيون يسعون لتعديل سلوك الناس لكي يتفق مع مبادئ الدين ومعاييرهم وأحكامه، والقادة العسكريون يعملون على تعديل سلوك الجنود بما يحقق الحماسة الوطنية والدفاع عن الشعب، ومع تطور الحياة وتعقدها يحتاج القادة في مختلف المجالات لتعديل سلوك أتباعهم بحيث يتطابق مع حالة التطور.

وتستهدف التربية ومؤسساتها تعديل سلوك الناس وجعلهم أكثر ايجابية وموضوعية وأكثر اكتسابا وتحصيلا للمعرفة وللمهارات الحركية والعقلية والعادات الاجتماعية والخلقية المقبولة والصحيحة. وكذلك يفعل المعالجون النفسيون والأطباء حين يسعون لتحقيق شفاء المريض عن طريق تحريره من العادات المرضية السيئة والسلبية ومساعدته على اكتساب عادات ايجابية ومقبولة من الناحية الدينية والروحية والخلقية والاجتماعية وبمعنى آخر تعديل سلوكه من السلوك المرضي إلى السلوك السوي.

ولتغيير السلوك أساليب مختلفة تعتمد على تغيير فكرة المريض عن نفسه وعن ظروفه وعن المجتمع الذي يعيش فيه وكذلك عن طريق تعديل اتجاهاته العقلية إزاء الموضوعات التي تتعلق بها مشكلته. أما استمرار وجود المشكلة فأنها تجعل صاحبها يعاني من التوتر والصراع والقلق. والنظرة الواقعية للأمور أساس لحل الصراعات النفسية والهروب من المشكلة ورفض مواجهتها لا يؤدي إلى حلها.

ولذلك فقد اهتم الإسلام بمحتويات النفس الإنسانية وجعل إصلاح النفوس أساساً للإصلاح والتغيير الشامل (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) والإسلام كله دعوة لتغيير السلوك الإنساني واتجاهاته نحو الصلاح والواقعية والخير. وباستطاعة كل فرد أن يلمس ذلك من خلال التأمل في تاريخ الإسلام الأول وعمل الرسول الكريم (ص) خاصة. فقد غير سلوك الناس من الوثنية وعبادة الأصنام نحو عبادة الله سبحانه، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الظلم والطغيان إلى القسط والعدل والوسطية، ومن الصراع إلى التعاون، ومن العداء إلى الإخاء، ومن الجشع إلى الزهد والقناعة، ومن الكبر والتعالي إلى التواضع والخشوع لله، ومن الفرقة والتشتت والتمايز إلى المساواة والتضامن، ومن الغلظة إلى الرحمة، ومن قطع الأرحام إلى صلتها، ومن هدر قيمة كبار السن إلى احترامهم، ومن إيذاء النساء إلى حمايتهن، ومن الأنانية إلى الإيثار. فالإسلام يعدل من سلوك الفرد باتجاه المعروف وينمي في الشخصية قيم الحق والخير والجمال

وعلى أساس الروح الاجتماعية الايجابية.

ومن أهم القيم الإسلامية التي تدعم الشخصية وتوجهها وتحدد نمط تصرفاتها توحيد الله والعبودية له وحده وما تتضمنه فكرة التوحيد من وضوح الرؤية وبيان الطريق السليم وإقامة العلاقة المباشرة مع الخالق العظيم.

لذلك نجد تعاليم الدين توصي بالتقوى لأن التقوى وقاية للإنسان من غضب الله، وهي تعني مخافة الإنسان من ربه وابتعاده عن المعاصي والذنوب الأمر الذي يتطلب ضبط الإنسان لدوافعه وشهواته ونزواته والتحكم فيها وإشباعها فقط من طرق الحلال الذي نصت عليه الشريعة السمحاء. وعلى المسلم حين يتقي الله ويعيش العبودية له أن يتوخى الحق والعدل والأمانة والصدق والوفاء والولاء والعفة وان يتحاشى الظلم والبغي والطغيان وان يحسن معاملة الآخرين وان يؤدي واجبه على أكمل وجه وأطيبه وان يكون رائده في عمله الإخلاص والتضحية. فمن شأن هذا النمط السلوكي تنمية قدرات الفرد وخبراته ومعارفه ومهاراته ومواهبه وان يسير بسلوكه نحو الأفضل دائما. ويدفع بسلوكه نحو الاتزان والتكامل (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)، (يا أيها الذين امنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)، (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (ومن يتق الله

يجعل له من أمره يسرا).

فالذي يراقب الله في تصرفاته وحركاته وسكناته وتعامله مع الناس ويرعى أحكام شرائعه يسدده ويجعل له نورا يفرق به بين الخير والشر وملكة تهديه إلى الصلاح وتنشله من حيرة التردد والقلق.

وليست عملية التقوى المطلوبة في أحداث التغيير السلوكي فردية بحتة، بل هي ذات منحنى اجتماعي أيضا، فالمجتمع المتقي الذي تغطي عليه سمة التقوى توفر للإنسان الفرد جوا نقيا مساعدا يدفع باتجاه ممارسة العادات السلوكية والفكرية والاجتماعية المطلوبة والصحيحة، فيما تنعدم مثل هذه الأجواء المساعدة في المجتمعات البعيدة عن تقوى الله وطاعته فتتحول تلك المجتمعات إلى بيئات سيئة وسلبية تدفع بالفرد والجيل باتجاه ممارسة السلوك المنافي لتعليمات الشريعة ومتطلبات الفضيلة الأخلاقية.

لذلك فمن شروط التغيير والتعديل التي يشترطها الإسلام لتبديل سلوك الأفراد هو عمل الفئة المؤمنة المتقية وسعيها من أجل إيجاد مجتمع التقوى والعدل كي يكون الإطار الطبيعي والبيئة النقية التي ينشأ فيها الأفراد ويكبروا على قيم الفضيلة والعدل والوسطية ويتعودوا من خلال الممارسة الدائمة واليومية العادات السلوكية المطابقة لقيم الشريعة وأحكامها.

ومن دون وجود ذلك المجتمع النقي المتقي تصبح سلوكيات الأفراد وعقائدهم الصحيحة عرضة للتآكل والتراجع والارتداد بفعل عوامل الضغط الاجتماعي وتكرار الممارسات المظلمة التي تبعد الفرد عن أجواء الطاعة والعبودية الحققة.

أثر الاستهواء، في تكوين الاتجاهات والعواطف

نعني بالاستهواء استعداد الفرد لتقبل فكرة ما مع عدم وجود الاسباب المنطقية الكافية لتقبلها، وكلما كان الفرد اميل للتصديق من غيره كانت قابليته على استهواء اتجاهات وافكار وعواطف الاخرين اكبر.

ولكن التأثير باراء الاخرين يتفاوت من شخص لآخر كما انه يكون قابلاً للتأثر مع شخص في موقف دون موقف آخر، ففي العادة تنتقل الافكار بين الافراد من جنس واحد بسهولة اكبر مما تنتقل بين الافراد من اجناس مختلفة وكذلك بين افراد الامة الواحدة او الدين الواحد او الحزب السياسي الواحد او بين الاقارب او بين الاصدقاء. وهذا القدر المشترك من عوامل انتقال الافكار بين الافراد يكون في العادة وجدانياً من اساسه.

انتقال الافكار بين افراد المجموعة يزيد من الصلة بينهم ويجعلهم اقدر على فهم بعضهم البعض. وكأن القابلية على الاستهواء تكون اكبر واشد وفقاً للروابط الاجتماعية القائمة بين الافراد التي يترتب عليها في الوقت نفسه تنمية هذه الروابط وتعزيزها وتقويتها.

وعلى ذلك فالقابلية على الاستهواء تؤدي دوراً خطراً في تكوين اتجاهاتنا وعواطفنا نحو الآراء والافكار والمعتقدات

والنظم الاجتماعية. وهو ما نعني به سرعة تصديق الفرد وتقبله
للآراء والأفكار دون نقد أو مناقشة أو تحقيق، خاصة إذا كانت
صادرة من شخصيات بارزة أو ذات نفوذ أو صيت علمي أو كان
يعتقنها عدد كبير من الناس.

فنحن نشرب الآراء والاتجاهات والمعتقدات التقليدية
الشائعة في جماعتنا دون قصد ودون تحليل أو نقد خاصة تلك
التي تخيم على أجواء الأسرة التي تنشأ في أحضانها كاتجاهات
الأسرة نحو الدين والمذهب والوطن والقومية والنظام الاجتماعي
أو الاقتصادي. واتجاهاتنا نحو الحق والباطل، نحو المباح
والمحظور، الخير والشر، المسالمة أو العدوان، لذا فنحن نحمل
معنا منذ عهد الطفولة كثيرا من الانحيازات الضحلة أو الحمقاء
حيال بعض الأشخاص أو الجماعات أو نحمل بعض العادات
السلوكية أو الفكرية التي نفخر بها ونميز أنفسنا بها عن الآخرين
وهي ليست في وضع يستدعي ذلك. كما أن المدرسة ووسائل
الاعلام وما ينشر في بعض الكتب التي تقع عليها انظارنا وأفكار
قادة الرأي وما نسمعه من أصدقائنا من آراء تشكل مصادر أخرى
في تشكيل اتجاهاتنا وعواطفنا.

فنحن لم نكون الكثير من اتجاهاتنا وعواطفنا عن طريق
التعقل والتفكير والتحليل المنطقي، بل إن أكثرها تكون بطريقة
لا شعورية غير مقصودة عن طريق اللفة والتكرار، كما إن قابليتنا
على استهواء ما موجود في محيطنا تكون هي الأخرى عن طريق
العدوى الاجتماعية.

غير ان فئة قليلة من الاتجاهات والعواطف نكتسبها قصدا عن طريق التفكير الهادئ المسؤول والتحليل المتأنى العميق، فحين نريد تحديد موقفنا من مشكلة اجتماعية هامة او اقتصادية او سياسية او حياتية كمشكلة تحديد النسل مثلا او ايقاع عقوبة كبيرة بحق متهم او اتخاذ قرار بالحرب او السلم، وما الى ذلك من قضايا هامة مشابهة. فاننا نلتجئ للتفكير والتحليل. اما الاتجاهات والعواطف المعنوية كحب الامانة والعدل وكره الخيانة والغش فهي تتكون عادة بعد مرحلة المراهقة او (النضوج) ذلك ان اكتسابها يتطلب مستوى عقليا لايتوفر عادة لدى الاطفال، فلكي نحب العدل او الامانة يجب ان نعرف معناها وهذا عسير على مدارك الطفل الصغير.. علاوة على ان امثال هذه الاتجاهات تتطلب جهدا طويلا وتدريباً متواصلاً لكي تبلور في نفس الفرد، فحب العدل لا يمثل مكانا في نفس الفرد الا بعد ان يكون قد خبر العدل وعرف قيمته في مواقف خاصة مختلفة وكثيرة يشعر في بعضها بالعدل فيسعد وفي بعضها بالظلم فيشتقى او يتألم وفي بعضها الاخر بالظلم يحق بغيره فيثور ويسخط. حتى ينتهي به الامر الى تكوين حكم عام واكتساب اتجاه عام من خلال حالات فردية كثيرة ومواقف متعددة. من هذا يتضح ان امثال هذه الاتجاهات والعواطف المعنوية تنطوي على عناصر عقلية فضلاً عن عناصر وجدانية، فالعاطفة الدينية مثلاً يتوقف بناؤها لدى الفرد على فكرته عن الدين اهي مصطبغة بالحب والطمأنينة ام بالخوف والرعب، والعواطف الخلقية تتوقف قوتها على فكرة الفرد عن الحق او الواجب،

وكذلك العاطفة والولاء ازاء الوطن تتوقف الى حد ما على فكرة الفرد عن وطنه وذاكراته وتجاربه فيه.

وعلى العموم فان اثر قابلية الاستهواء للسلوك لدى الافراد اكبر بكثير من اثر الاستهواء الكلامي لاحاديث ومواعظ الاخرين، ولذلك نجد فقدان اثر المواعظ في الناس عندما يكتشفون في واعظهم مفارقات سلوكية تحملهم على التشكيك باقواله وارائه ومقاصده.

الإنمات السلوكية

يقسم بعض العلماء النفس وبخاصة العالم النفسي المعروف (يونسج) الناس من حيث حياتهم العقلية والسلوك على طوائف وفئات، واهم هذه التقسيمات تلك التي اعتمدت تقسيمهم على انبساطيين وانطوائيين. وعدوا الانبساطيين اكثر ميلاً للاتصال بحياة الواقع في حين ان الانطوائيين اميل الى التفكير والتأمل، فالانبساطيون يتصفون بسلاسة التعبير في احاديثهم على العكس من الانطوائيين الذين تعوزهم هذه الناحية، ويميل الانبساطيون الى الاختلاط والى الدعابة والمرح فينما نجد الانطوائيين يضطربون في اعمالهم ويرتكون في احاديثهم امام الناس، نجد الانبساطيين يحسنون العمل والتحدث اذا تكاثر حشد المتفرجين والمستمعين في مجالسهم.

ويختلف احد النمطين عن الاخر في كون الانطوائيين اميل الى الحذر والتأمل والحساسية على خلاف الانبساطيين فهم اميل الى الجرأة والتاثر بالواقع.

ويتصف الانبساطي في حياته الشعورية بصفات الانطوائي نفسها في حياته اللاشعورية وكذلك الانطوائي يتصف في حياته الشعورية بصفات الانبساطي اللاشعورية، فالشخص الحذر في حياته الشعورية تتصف نزعاته ودوافعه اللاشعورية بكثير من الجرأة

والاندفاع والاقدام، لذا يوصف الانبساطي بأنه عملي وواقعي
وسطحي والانطوائي يوصف بالعمق والحساسية الانفعالية مع ميل
الى التفكير والتخيل.

ويذهب علماء نفس الانماط الى تقسيم السلوك على درجات
عدة اكثر دقة من هذا التقسيم الثنائي اذ ان بعضهم يرى ان هناك
اربع وظائف للحياة العقلية تقوم على اساسها حياة الفرد العقلية
غير اننا نجد احدى هذه الوظائف اكثر ظهوراً لدى الفرد من
الوظائف الثلاث الباقية، فهناك صنف من الناس تغلب عليه الناحية
الفكرية وصنف آخر تغلب عليه الناحية الوجدانية. ومن يعتمد كثيراً
على الالهام لا يعتمد على الحس الا نادراً، فالفكر يقابله الوجدان
والحس يقابله الالهام.

ويبين هذه التقسيمات تقع تقسيمات وسطى فهناك صنف
يتصف بالتفكير الحسي او الاختباري التجريبي، واخر يتصف
بالتفكير التأملي وهو واقع الالهام والتفكير، وصنف آخر نسميه
بالوجداني الالهامي وهو الذي يشعر بالانقباض في اوقات معينة
حيث يستلهم ان حادثاً غير سار قد وقع ثم يثبت له صحة ذلك
فيما بعد او يشعر بالاستبشار ويستلهم منه خبراً طيباً وساراً فيثبت
صحته كذلك بعد حين.

والصنف الرابع يسمى بالوجدان الحسي وهو الذي يعتمد
في حياته الوجدانية على المحسوسات والماديات مثل المأكول
والمشرب والملبس وروائح العطور وما الى ذلك، وتتلون حياته
بهذا اللون الوجداني الحسي تلوناً واضحاً.

وبموجب ما مر ينقسم الانبساطيون على ثمانية اقسام اربعة
منها هي اقسام (الفكري والوجداني والالهامي والحسي) والاربعة
الاخري تقع وسطاً بين هذه.

كذلك الانطوائيون ينقسمون على ثمانية اقسام بالطريقة
نفسها فهناك المفكرون الانطوائيون والمفكرون الانبساطيون
وهناك الوجدانيون الانبساطيون والوجدانيون الانطوائيون وكذلك
الحسيون الانبساطيون والحسيون الانطوائيون وكذلك الالهاميون
الانبساطيون والالهاميون الانطوائيون.

دوافع السلوك اللاشعورية

الشخصية المتكاملة للإنسان تشبه إلى حد كبير جمعية من الناس متكاملة مؤتلفة متحدة الاهداف. ويحدث ان يختلف بعض أعضاء الجمعية عن بقية افرادها فنجد ساعة ذاك ظهور نوع من المقاومة بقصد اضعاف العناصر المنشقة او افشال اثرها، ونجد عادة ان هذه العناصر المنشقة تكون مصدر قلق واضطراب، وتعمل في الخفاء لاثبات نفسها ولو على حساب ازعاج بقية افراد المجموعة، كذلك نجد ان بعض عناصر الشخصية لا ينسجم مع الاتجاه الظاهري العام لهذه الشخصية، فقد نجد شخصية متدينة ملتزمة متفرغة بكلها للدفاع عن الدين والفكر الاسلامي والاخلاق الفاضلة ولكنها تنطوي على نفس ميالة للعدوان والحسد والحقد ازاء من يفوقها في جانب من جوانب الشخصية، فلكي تنسجم نزعاتها كلها بعضها مع بعض قد تحاول الضغط على نفسها كي لا تظهر عوامل العدوان والحقد او تتناساها على اقل تقدير وقد تجد نفسها تتردد بين اتجاهين فأحيانا تصارح نفسها بالميل الى العدوان واحيانا تصارح نفسها بعكس ذلك، فتكون بذلك شخصية منقسمة على ذاتها، جزء منها يتعارض مع الجزء الاخر.

ويحدث في الشعوب احيانا ان تقوم فيها حكومات تملي اتجاهات لا تتفق مع بعض اتجاهات الافراد فيظهر شيء من التنازع

بين بعض افراد الشعب والحكومة، فأذا زادت مصادر التحريك ضد الحكومة اضطرت الاخيرة الى زيادة المقاومة وزيادة الضغط عليها بفرض الاحكام العرفية والرقابة الدقيقة على اعمالها، وبهذا تبدو الدولة منقسمة على نفسها بين الشعب والحكومة وتبدأ المقاومة والشدة والرقابة والضغط بين الطرفين.

ويمكننا ان نرى صورة ذلك في الصحف اليومية فنجد فيها مدحا لمنجزات الحكومة واعمالها ونجد فيها اتهاما واضحا لبعض ما تقوم به، قد تظهر احيانا على شكل صورة كاريكاتيرية او في شكل اخبار مدسوسة بين عدد كبير من الاخبار الاخرى تفلت في العادة من الرقيب الذي يحاول منع نشر مثل هذه الاخبار. ونجد ان ضغط هذه الاخبار الممنوعة يكون من الشدة بحيث لا يمكن منعها من التسرب الى الناس بصورة او اخرى وكلما تسرب بعضها الى الناس ازداد التصادم بين السلطة والشعب.

وبهذه الصورة نفسها نجد في الانسان نزعات قوية تحاول الظهور ولكن الانسان يضغط عليها ويمنعها حتي يظهر امام الناس بالصورة المؤدبة الراقية التي يرتضونها والتي يرتضيها هو لنفسه تبعا لذلك. فالمجتمع لا يرتضي من الفرد ان يعبر عن نزعاته الجنسية الاعتدائية تعبيراً مطلقاً خالياً من القيود، ولكن التعبير المطلق الخالي من كل قيد محبب الى النفس البشرية لان (النفس امارة بالسوء) كما جاء في القران الكريم، ولكي يبدو الانسان مهذباً فانه لا يرد على اعتداء من يعتدي عليه وانما يشكوه الى القضاء ولكن نزعة الانتقام تبقى حية عنده تتغلغل الى اعماقه لتظهر على شكل

نكات او احلام او فلتان لسان او حركات معينة او غير ذلك، فقد ينتقم الفرد في احلامه من اناس طالما تظاهر باحترامهم في سيرته العادية او يوقع العدوان على رموز تنوب عنها او تمثلها، فالنزعة الانتقامية تعمل في الانسان نفسه بصورة خفية تشبه الحركات التي تقوم بها الجماعات السرية الارهابية التي يظهر اثرها دون ان نحس بوجودها.

فالدوافع اللا شعورية التي توجه جوانب هامة من سلوكنا بوجه عام لا نشعر بوجودها وطبيعتها في اثناء قيامنا بالسلوك وتكون هي وراء العديد من مفردات سلوكنا التي لا تتضح اهدافها في اذهاننا، فقد يزل لسان احدنا في اثناء الكلام او يميل الى التفاخر والتباهي والزهو بما ليس فيه دون ان يفطن الى الهدف من سلوكه هذا.

ان بعض دوافع السلوك اللا شعورية نستطيع الكشف عنها او تحديد طبيعتها واغراضها اذا تأملنا في تصرفاتنا ودققنا النظر في دوافعها ومثل هذه الدوافع يمكن تسميتها بالدوافع شبه الشعورية، فيما لا يمكن اماطة اللثام عن بعضها الاخر مهما حاولنا وبذلنا من اجلها الجهود، امثال هذه الدوافع الاخيرة تسمى بالدوافع اللا شعورية المكبوتة وهي موضع اهتمام مدرسة التحليل النفسي التي تذهب للاعتقاد بأن مثل هذه الدوافع لا يمكن ان تطفو على سطح الشعور الا بطرق خاصة يتبعها المعالجون في عيادات التحليل النفسي.

والدافع اللا شعوري عموما لا يستطيع الفرد ان يعبر عنه باللغة او ان يحدده ويميزه عن غيره من الدوافع الخليطة والممتزجة غير

ان كل دافع مكبوت هو دافع لا شعوري لكن ليس كل دافع لا شعوري مكبوتا.

وعلى ذلك فالطاقة النفسية الغريزية لدى كل فرد لابد لها من تصريف واشباع، والا ادت الى اضرار بالنفس والتواء في سيرتها وتصرفاتها، ويمكن تكيف السلوك الغريزي بما يخدم وينسجم مع رسالة الدين في الحياة ولا يتعارض معها بل يدفع بها نحو المعالي والسمو الاخلاقي وخدمة بني البشر بدلا من تضييع حقوقهم واذلالهم والتفريط بطاقتهم الخلاقة وتشتيتها وبما يخدم اغراض الشيطان واتباعه وزيادة نفوذه فيهم.

سمات الشخصية السوية

لشخصية كل انسان سمات عامة ثابتة هي مجموعة استعداداته الفطرية الذاتية التي تولد معه كجزء من موروثاته التي تحدرت من والديه واجداده، وهي مستقلة كليا عن الظروف والعوامل المحيطة الخارجية التي تحيط به وتؤثر فيه.

من هذه السمات الموروثة معدل ذكاء الفرد ومزاجه الخاص واستعداداته الخاصة التي تميزه عن بقية الناس.

وبتفاعل هذه السمات التي تشكل امكانات الفرد وقدراته الخلقية مع عوامل البيئة الخارجية والطرائق التربوية التي يتعامل عبرها الآخرون معه؛ كالوالدين والمعلمين والاصدقاء، تتحدد نوع شخصية الفرد واسلوب تصرفه ازاء الاحداث والناس والذات، لذلك يعرف علم النفس الشخصية على انها مجموعة من الميزات السلوكية والتصرفات والاحاسيس الشعورية واللاشعورية والافكار والتصورات العقلية الثابتة وغير الثابتة التي يكونها كل انسان عن ذاته وعن الآخرين.

ولم يتفق علماء النفس على إنموذج معين من الشخصيات السليمة بل ذهب بعض منهم الى القول بانعدام وجود شخصية سليمة بالمعنى الحرفي للكلمة، ففي كل نفس انسانية جوانب غير سليمة لا تخفى على المدقق المختص.

ونرى ان علماء النفس يصفون الشخصية السوية بانها الشخصية المتوافقة مع ذاتها ومع الآخرين وتشعر بالسعادة في داخلها وتسبب السعادة للآخرين ولا تسبب لهم الازعاج او الازعاج. ونجد في القران الكريم ما يؤيد هذا الاتجاه في تعريف شخصية النبي الاعظم محمد (ص)، ذلك الانسان الكامل كما يصفه (وانك لعلی خلق عظیم) وهي صفة معيارية تنطبق على بقية الانبياء والرسل وائمة اهل البيت الاطهار (ع) ومن الاولياء والصالحين والشخصيات المؤمنة.

وقد حدد القران الكريم معالم الشخصية السليمة المفضلة بسلسلة من الايات المتفرقة والمجتمعة نذكر بعضها لنطلع على سمات الشخصية السوية من منظور اسلامي.

ففي قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)، اشارة واضحة الى سمة عدم التكبر والتحدث مع الناس على قدر علمهم. ثم يصف بعض سمات هذه الشخصية بقوله تعالى (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما). ويقول في سلوكها الانفاقي (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما).

ثم يميز عبادتها بالتوحيد الخالص بعيدا عن التوجه للالهة المتعددة المتمثلة بهوى النفس وزينة الحياة من المال والبنين والجنس والطاغوت فيقول (والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يزنون).

ويصفها بالشخصية الاوابة التي لا تشبث باخطائها وذنوبها
حينما تضعف ازاء ضغط النفس الامارة بالسوء (والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين). (والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون).
والشخصية السليمة تلتزم بالصدق والاستقامة (والذين لا
يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما).

وهي متدبرة عاقلة بعيدة عن التعصب والتزمت والانفعال
مطبعة (والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا).
وهي رحيمة مشفقة تعمل على اسعاد من تحت مسؤوليتها (والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذريتنا قررة عين واجعلنا للمتقين
اماما).

هذه السمات هي اهم مميزات الشخصية السوية من منظور
اسلامي، تؤدي ما عليها من التزامات ضمن ادراك واع وطوعي
بعيد عن عادات المجتمع الخرافية وتقاليده، متفائلة غير متشائمة،
اجتماعية غير انعزالية، تتحمل المشكلات بصدر رحب ومعنويات
عالية، بعيدة عن روح التبعية العمياء او الاستسلام لغرائز الذات.

كيف تتكامل شخصياتنا

حينما تتسم نزعات الفرد الفطرية والمكتسبة بالوحدة والانسجام تتحقق صفة التكامل في الشخصية وتبلور عواطف الفرد وتتحدد وجهتها، ويصبح في مقدور المحيطين به توقع نوع سلوكه في الاحداث والوقائع التي يتعرض لها.

ولكي تتضح صورة ما نعينه بتكامل الشخصية نشير اولاً الى العناصر الاولى التي تتكون منها الشخصية حيث يمكن تقسيم هذه العناصر على قسمين كبيرين، احدهما تدخل ضمنه الصفات المزاجية المختلفة، والاخر تدخل ضمنه الصفات الادراكية المختلفة.

ويشتمل كل من الصفات المزاجية والصفات الادراكية على عناصر وراثية فطرية واخرى مكتسبة. وكل مجموعة من هذه العوامل يمكن تصنيفها الى عامة وخاصة، فالعواطف تدخل عادة تحت الصفات المزاجية المكتسبة. في حين ان الذكاء هو القوة الادراكية العامة الموروثة، وللانسان مستوى ثقافي عام يدخل تحت العنصر الدراكي العام المكتسب، لذا نجد الفرد مكونا من مجموعة كبيرة من الاستعدادات الغريزية والمزاجية والادراكية العامة والخاصة، الفطرية والمكتسبة، ونجد كل عنصر من هذه العناصر لدى الفرد بقدر معين. فنزعة المقاتلة تختلف في قوتها من شخص لآخر، كاختلاف مستوى الذكاء عند الافراد والاساس

الجسمي للمزاج الذي يرجع بعضه الى افرازات الغدد يختلف من شخص لآخر اختلافا يمكن قياسه بدقة.

ومثل الفرد (وهو مجموعة كبيرة من الاستعدادات المختلفة) كمثال عدد كبير جدا من الاشخاص لا يصح ان نطلق عليهم اسم جماعة الا اذا ربطتهم بعضهم ببعض رابطة متينة. فالذي يقف عند ملتقى شارعين كبيرين لا يلاحظ علاقة خاصة تربط المارة ببعضهم، لهذا يصعب التنبؤ بما يمكن ان يقوموا به من سلوك، فتعدد اغراض الافراد لا يتاتي معه وحدة العناصر، ولكن اذا اتحد غرض هؤلاء الافراد امكن النظر اليهم كجماعة، كما هو الحال في تحرك حشد من الجماهير في تظاهرة سياسية ذات هدف واضح.

وتعدّ الجماعة قوية او ضعيفة بمقدار ما بين افرادها من روابط داخلية وبمقدار اتحاد الهدف الذي يسعون الى تحقيقه، فالجماعة التي تكون حزبا سياسيا او نقابة مهنية تتصف بوجود الروابط بين افرادها وتتصف بوحدة اغراضها وبقدر متانة الروابط الداخلية ووضوح اغراض الجماعة ونشاط كل فرد لتحقيق هذه الاغراض يكون اعتبارنا لمبلغ قوة هذه الجماعة، كما يمكن التنبؤ بسلوكها او بسلوك افرادها في ظروف ومنعطقات معينة.

كذلك شخصية الفرد تعدّ قوية اذا ارتبطت عناصرها ارتباطا قويا واذا اتجهت لتحقيق غرض واحد او غرض اساسي في الحياة، هذا الترابط وهذه الوحدة في عناصر الشخصية واهدافها يسمى بتكامل الشخصية، والتكامل هنا شبيه بالتكامل المعروف في الرياضيات، اي هو جمع وحدات صغيرة كثيرة العدد لتتكون منها

وحدة كبيرة.

وقد يحدث تعارض بين بعض النزعات وبعضها الآخر عند الفرد الواحد، فقد يتنازع الفرد ميله للمحافظة على حياته وجهاده للدفاع عن شرفه وكرامته، وقد يضطر للتضحية باحدهما في سبيل الآخر. وقد يتتابه التردد بينهما زمنا طويلا تدفعه النزعات للمحافظة على الكرامة ويمنعه حب الحياة فيتردد بين الدفع والمنع الى ان يبت في الامر.

ويشبه انقسام النزعات بعضها على بعض ما يحدث بين افراد الجماعات من انقسام في الراي بين افرادها، ومن اختلاف في الوجهة وماقد يتبع هذا الاختلاف من اتفاق مؤقت او دائم، واذا حدث اختلاف بين افراد جماعة في مناقشة ما فأنه يحسن بهم ان يحددوا اهدافهم ويوضحونها في ذهن كل فرد ويخضعوا المناقشة لهذه الاهداف الموحدة، وبهذا تزول الاختلافات الفردية الشخصية الصغيرة.

كذلك الفرد حين يقع في نفسه التردد، فانه يستطيع حسم تردده بالنظر بموضوعية في نزعاته على ضوء الاهداف التي رسمها لنفسه. فالشخص الذي يجد نفسه امام طريقتين احدهما يحقق له مكاسب مادية وموقعا مرموقا ولا يتحقق معه مجد معنوي او قيمي والطريق الآخر يحقق له مجدا معنويا مع شيء من التضحية المادية فقد يتردد بين اتخاذ احد الطريقتين دون الآخر، ولكنه في النهاية يحسم الامر لمصلحة احدهما على وفق الهدف الذي يختاره لنفسه، والتعارض الذي يقع بين النزعات قد يستمر ويزمن فتكون نتيجته

ضعفا في الشخصية، مثلها في ذلك الجماعة المختلفة المتنازعة التي
يضيع مجهودها في عراك داخلي بين افرادها. والفرد هو الآخر
حين يفشل في حسم التردد في تغليب نزعة من نزعاته الشخصية
على غيرها يبقى هزيل الشخصية ضعيفا.

كيف تتكون عواطفنا واتجاهاتنا النفسية

الاتجاه النفسي هو بالاساس استعداد وجداني مكتسب، يتميز بثبات نسبي، يحدد سلوك الفرد وشعوره ازاء موضوعات معينة قد تكون من نسق واحد، ويتضمن حكماً عليه بالقبول او الرفض او السلب او الايجاب، هذه الموضوعات قد تكون:

- 1 - اشياء كالميل الى كتاب معين او النفور من طعام خاص.
 - 2 - اشخاصا كحب شخص لآخر او كره مرؤوس لرئيسه او اعجاب شخص بآخر.
 - 3 - جماعة كالتعصب او التعلق بقومية معينة او شعب خاص او طائفة او عشيرة او حزب او مؤسسة معينة.
 - 4 - افكاراً او مبادئ او نظماً اجتماعية كالميل الى نظام حكم معين، او تحييد لفكرة تحديد النسل او تأميم النفط او نظرية التطور او النفور من حركات التجديد.
 - 5 - وقد تكون ذات الفرد نفسه موضوعا لاتجاه نفسي كحب الذات او احترامها او الرضا عنها او استصغارها او تنزيهها او ادانتها او كرهها او السخط عليها او ضعف الثقة بها.
- هذه الاتجاهات تكون ذات اهمية واثر كبير في توجيه شعور الفرد وسلوكه، فمن كره نفسه كره غيره ومن استصغر نفسه استصغر

غيره، ومن اساء الظن بنفسه مال الى سوء الظن بالآخرين ومن فقد ثقته بنفسه فقد الثقة بالناس.

اما اذا كانت اتجاهات الفرد مصحوبة او مشحونة بشحنة انفعالية قوية سميت (عاطفة) كعواطف الكره والحب والصدقة واحترام الذات، وفي حالة عدم استعداد الانسان لمناقشة الآخرين له بشأن اتجاهاته وافكاره وتقبل الادلة على خطئه سمي (انحيازاً) كالانحيازات السياسية والدينية والطبقية والاقتصادية.

والاتجاهات الفردية والعواطف انما تتكرس في الفرد نتيجة تكرار اتصاله بموضوع الاتجاه او العاطفة في مواقف مختلفة ترضي فيه دوافع مختلفة وتثير في نفسه مشاعر ايجابية سارة او تحبط لديه بعض الدوافع وتثير في نفسه مشاعر الالم والنفرة.. فعاطفة الولاء للوطن تتكون من تكرار ارتباط الوطن بمواقف الرضى والفخر.. فالوطن الذي يوفر للفرد العمل ويضمن له الحياة الهائلة ويكفل له ممارسة حرياته الاساسية ويوفر له الضمان الاجتماعي ويحميه من عوادي الزمن ويحقق له الامن والاطمئنان والكرامة ويدفع عنه غوائل العدوان الخارجي والداخلي ويتيح له المجال لتوكيد ذاته والتعبير عن رأيه، مثل هذا الوطن خليق ان ييث في نفوس المنتمين له الولاء والتضحية من اجل سيادته.

وكذلك عاطفة الصداقة، تنشأ وتتكون بالتدريج نحو شخص يفتح صدره لك ويقاسمك متاعبك ويعينك في الشدة ويتحمل اخطائك ويدافع عنك في غيبتك ويستمع الى شكواك ويشعرك بأنه متضامن معك، يشاركك في احزانك وافراحك، ويمنحك من

تجاربه ما ينفعلك ويزيد شعورك بالامن واحترام الذات.

وكذلك الحال في تكوين عاطفة الكره لشخص او لشيء معين.. فهي تتكون نتيجة لارتباطها بما يثير في نفسك الغضب والخوف والنفور والالم وسوء الظن بشكل مكرر.. لذا نجد من الطبيعي ان يكره الطالب الذي تكرر رسوبه في مادة معينة كرهه لها ونفرته منها، ونجد اناسا كثيرين يمقتون السياسيين والسياسة لتكرر المواقف السياسية التي سببت لهم احباطا والمما او معاناة انسانية.

وقد يتكون الاتجاه النفسي او العاطفة احيانا اثر صدمة انفعالية حادة واحدة، كحب الزوج لزوجته والذي قد ينهار في بعض الحالات وعلى حين فجأة بسبب انعطافة في الاخلاص او الوفاء بعهد الزوجية، فتتحول كل عواطف الحب الساخن الى عواطف بغض وكرهية وميل للانتقام.

والمربون عادة مسؤولون عن حماية عواطف الناس الايجابية والمطلوبة بحسن تصرفاتهم وجودة ادائهم وتعاطيهم للامور ومواقفهم من الاحداث المهمة والا فانهم سيكونون سببا في تنمية اتجاهات وعواطف سلبية وغير مرغوبة في اتباعهم او فيمن يفترض ان يكونوا لهم مرشدين ومربين.

ان تغيير اتجاهات الافراد وعواطفهم من الموضوعات السلبية الى الايجابية يحتاج الى نظام سلوكي ومفاهيمي واضح يعزز فيهم قيم الخير والاتجاهات المحببة.

كيف تتكون عواطفنا وتتطور.

العواطف هي استعدادات عقلية شعورية مكتسبة ترتبط بموضوعات معينة (كالاشياء والاشخاص والجماعات والمبادئ والافكار) تنشأ عن تنظيم لنزعاتنا الفطرية ازاء تلك الموضوعات وتدفع بنا للقيام بانواع خاصة من السلوك.

والعواطف عملية تنظيم لانفعالاتنا او استعداداتنا الانفعالية حول موضوعات او افكار تتضمن القيام بسلوك ملائم حيالها، وباختلاف موضوعات هذه العواطف وقوتها يختلف تقديرها للاشخاص، فالشخص الذي تكون لديه عاطفة حب الصدق، يختلف في نظرنا عن ذلك الذي تكون عنده عاطفة حب الكذب وكذلك يختلف عندنا من تكون عنده عاطفة ولاء دينية او وطنية عن الاخر الذي لا عاطفة له ازاءها.

ولكي نبين كيف تتكون العاطفة نأخذ مثالا هو العاطفة التي تتكون بينك وبين شخص تقابله لأول مرة في حياتك، ولنخرج بحصيلة ما يستثار عندك من انفعالات نتيجة لخبراتك السابقة (من حب او كراهية من اول نظرة) الامر الذي يؤثر في احكامك ومشاعرك نحو هذا الشخص، فهب ان الشخص كان معك على جانب من الادب والمجاملة والكرم وكان ميالا الى تقديم مساعدة لك وادخال السرور على نفسك وازهار العطف عليك، اذا حدث

هذا كله كان مجالا طيبا لارضاء (غرائذك) وحاجاتك النفسية وكان في تكرار وجوده في نطاق حياتك مبعثا لانفعالات سارة، تجد نفسك حينذاك وعلى ضوء الخبرة المتكررة في حالة من الارتياح كلما قابلته، فاذا علمت بعد مدة انه قام بعمل عظيم فانك تشعر بالزهو وتندفع للتعبير عن زهوك باساليب عديدة واذا سمعت شخصا ينتقده او يخدش سمعته فانك لا تلبث ان تثور وتغضب وتجد نفسك مدعوا للرد على الانتقاد والدفاع عنه. فكانت عاطفة الحب تكونت نتيجة خبرات متكررة بموضوع معين وصحبتها انفعالات سارة في الاجمال، يقال في مثل هذه الحالة ان الشخص تكونت لديه عاطفة حب نحو الشخص الآخر وتبقى هذه العاطفة في حالة تكون وتصبح جزءاً من مكونات عقل الفرد شأنه شأن اي استعداد عقلي آخر يستثار اذا توفرت شروط ظهوره، وهي تتبلور من خلال تطور الانسان في حياته وتصبح استعدادات مكتسبة قوية جدا لا تقل عن قوة الغرائز الفطرية، وتصبح محركات مستقلة للسلوك عند الفرد، بل تتمكن من تحديد نزعاته الفطرية وتصبح موضوعاتها اكثر استثارة لها من غيرها وتحدث بعض التنظيم في سلوكه، ويزداد هذا التنظيم تدريجيا في العادة مع نمو الفرد وتدرجه من الطفولة حتى النضج واكتمال الشخصية.

والعواطف عند الاطفال تنمو عموما حول المخلوقات الحية اكثر مما تنمو حول الاشياء الجامدة، وتنمو كذلك حول الاشياء المتحركة اكثر مما تنمو حول الاشياء الساكنة، كما نجد ان الطفل في حالة تمرکز عاطفته نحو شيء غير حي يسلك كما لو كان يتصور

انه حي، وهذا مما يفسر بعض ما يقوم به الاطفال من محادثات تجري بينهم وبين دمياتهم التي يلبسونها الملابس ويقدمون الاطعمة ويوقعون عليها العقاب او الثواب وهذه الظاهرة تسمى بالظاهرة (الاحيائية) او نسبة الحياة الى الجماد.

والعواطف قد تكون مادية او معنوية، فالعواطف المادية تتمركز فيها المحسوسات كالاشخاص والاشياء اما المعنوية فتتمركز فيها المعنويات كحب الجمال وحب الشرف وكراهية الظلم واحترام القوة واحتقار الخيانة.

والعواطف المادية يمكن ان تكون فردية او جمعية، فالفردية تتمركز نحو الطفل لبيته او العابه، اما العواطف الجمعية فان مراكزها لا تكون افراداً وانما مجموعات، فهناك من الناس من تجده يحب الحيوانات بشكل عام ويكره نوعاً منها خاصة. ونجد نوعاً من العواطف يقع بين المادية والمعنوية كحب الصحة وكراهية المرض وحب الغنى وكراهية الفقر.

وتطور العواطف عند الافراد يبدأ منذ عهد الطفولة اذ يبدأ الطفل حياته بعواطف مادية عادة وتأخذ بالاتساع تدريجياً عبر مراحل العمر، فبعدما تتكون لديه عاطفة حب الام تتسع لتشمل الاب ثم تتسع لتشمل بعض افراد الاسرة ثم تتسع الى الاقارب والزملاء ثم تتسع لتشمل المدرسة والمحلة والمدينة حتى تبلغ الامة ومن ثم العالم اجمع، وهذه الاخيرة هي اوسع دائرة للعواطف وهي بلا شك ارقاها واعظمها، وهي عاطفة انسانية تشبه العواطف المعنوية بل تتحد معها. فحب الانسانية يتفق مع حب العدل وحب

الشجاعة وهي من مستلزمات المصلحين العالميين من الانبياء
والمغيرين والفلاسفة.

ويلاحظ ان العاطفة المعنوية المطلقة الخالصة تكاد لا يكون
لها وجود فهي تبع عادة من العواطف الفردية وتحقق في اشخاص
الافراد، فحب العدل ينشأ من خبرة يتكرر فيها الشعور بتحقيق
العدل والشعور بنتيجة الظلم مع ما يصاحبها من انفعالات السرور
في الاولى، والالام في الثانية، عبر المواقف المختلفة حتى يخلص
وينفك عن المواقف الخاصة بها ليتحول الى قيمة عاطفية معنوية
بذاته.

نزعات العدوان و التسلط عند الإنسان

العدوان عند الانسان محاولة تدمير الاخرين وممتلكاتهم، وهو يرجع الى شعوره بالاحباط و الفشل في تحقيق اشباع حاجاته. وهناك عدة انواع من العدوان منها العدوان المباشر الذي يوجه للشخص او الشيء الذي سبب الاحباط والفشل، في مقابل نوع اخر من العدوان المزاح او المستبدل، وفيه يوجه الانسان العدوان الى شخص اخر وذلك عندما يكون مصدر الإحباط قويا يخشى الفرد بأسه فينقل عدوانه او انفعاله الى موضوع اخر يكون اقل قوة ومقاومة وخطرا من الموضوع الأصلي. فالموظف الصغير عندما يثار من رئيسه القوي يكبت غيظه في نفسه حتى اذا ما عاد الى منزله انفجر في وجه زوجته لأي سبب واه او بسيط، وهناك العدوان الصريح والعدوان الخفي المقنع. وفي الإنسان توجد نزعة لإظهار العدوان تتضمن الميل نحو ان يحمل الفرد الآخرين على قبول اهتماماته وميوله وأفكاره على الرغم من معارضتهم. كما يتصل العدوان بنزعات حب التسلط و السيطرة في الجماعات الاجتماعية.

فالسلك العدواني هو تعويض عن الإحباط المستمر، أما العدوان فهو السلك الذي يقصد به اذاء شخص اخر او جرحه، وان كثافة العدوان تتناسب مع حجم وكثافة الإحباط تناسبا طرديا.

وقد يكون العدوان عاما يتجه نحو المجتمع ككل كما هو الحال مع الشخصيات السيكوباتية او الاحداث الجانحين الذين يعتقدون على افراد المجتمع وممتلكاتهم دون اي احساس بالذنب، وقد يكون تجاه جماعات الأقلية أو افراد قلائل وقد يكون تجاه الشخص او الأشخاص المسؤولين عن شعوره بالإحباط. ويستخدم معهم تصريح الانفعال لايجاد منفذ او مخرج للعداوة المحبوسة ولإزالة المشاعر السلبية.. وقد يظهر العدوان عن طريق سلوك الاستهزاء و السخرية و الضحك، وعند الكبار قد يتخذ شكل الاستهجان و الهجاء أو الخصومات القضائية.

ويعتقد (انطوني ستور) ان العدوان سمة طبيعية في الإنسان فهو أكثر الأجناس تدميرا لبنى جنسه وأكثرها حبا واستمتعا بممارسة القوة مع بني جنسه، ويزعم ((ان الانسان في معاملته لأخيه الانسان يذهب الى حد الوحشية والهمجية في المعاملة... اننا افسى الكائنات الحية على سطح الأرض وأكثرها غلظة، وعلى الرغم من اننا نجزع عندما نقرأ اخبار الرعب و المجازر في الصحف او في كتب التاريخ، الا ان كل منا يعلم انه يحمل بين طياته نفس الدوافع الوحشية التي تقود للقتل و السفك و السحل و الحرب)). ويبدو ان نظرة (انطوني) شديدة التشاؤم بشأن الإنسان اذ لا شك ان هناك جوانب إنسانية في سلوك كل إنسان ماضيا وحاضرا.

وعلى العموم فالانسان يولد ولديه خليط من النزعات الخيرة والشريرة، وظروف كل فرد، الاجتماعية منها والتربوية والاقتصادية

والأسرية هي التي تدفع باحد جوانب هذه السمات بالظهور وإخفاء الأخرى، فالإنسان ليس شرا محضا ولا خيرا محضا و القرآن يقول ((ونفس ما سواها فآلهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها)) وللعنوان معان متعددة يصعب تلخيصها في مثال واحد، فالطفل الرضيع الذي يثور سعيًا وراء زجاجة الحليب هو طفل عدواني، و الحارس الذي يرمي اسراه بالرصاص عدواني والأم المهملة التي تهدد زوجها بالانتحار حتى تظل متمتعة بحبه عدوانية.

من بين النظريات او الفرضيات التي تفسر العدوان الى جانب فرضية الشعور بالاحباط هي أهمية الإباء كـنموذج او مثال للطفل، فالطفل يتوحد او يتقمص شخصية والده ولذلك فانه يشكل سلوكه تبعاً لسلوك والده او يسلك على غرار سلوكه، والفرضية الثالثة تعود الى تسامح الإباء إزاء السلوك العدواني لأولادهم فكلما زاد الإباء السلوك العدواني زاد عند الطفل.

هذه الفرضيات الثلاث تعتمد على البيئة وعواملها والخبرات المتعلمة وخاصة ما يتم منها في دائرة الأسرة ومحيطها. ومع وجود من يؤمن بأن العدوانية لها أسباب وراثية وعضوية، الا ان باحثين آخرين ينكرون ذلك ويرجعون العدوان التلقائي الى الاحباط واسلوب التعلم السابق الذي أدى الى تعزيز او مكافأة السلوك الذي ينال الفرد عليه الجزاء، فالطفل يتخذ من السلوك العدواني أسلوباً لتعامله اليومي إذا وجد ان مطالبه قابلة للتنفيذ بهذه الطريقة عندما ينتهج في حياته هذا المنهج. كما ان عقاب

الاباء لا بنائهم نتيجة عدوانيتهم إزاء الآخرين يشعروهم بالاحباط ويقودهم الى مزيد من السلوك العدواني اذ يبدو ان العقاب لا يمنع الطفل من الإتيان بالسلوك العدواني.

وفي دراسة على الأطفال الجانحين وجد ان العدوان يتصل بنزعة احد الأبوين في نبذ او طرد الطفل نفسيا او انفعاليا كما قد يتخذ الطفل أباه مثالا يقتدي به ويتبنى قيمه ومبادئه ويقلد سلوكه فان كان هو عدوانيا كان سلوك الطفل عدوانيا كذلك.

كما دلت الملاحظة على امكان تقليد الطفل لكثير من الكبار في بيئته ومحيطه، فالإخوة والأخوات والأصدقاء عامة يمكن اتخاذهم مثلا اعلى لسلوكه. كما ان اتجاه التساهل و التسامح إزاء السلوك العدواني قد يزيد منه ففي مثل هذه الحالة يقل شعور الطفل بالخوف من العقاب ويقل شعوره بالذنب كما ويعدّ الطفل اتجاه التسامح والقبول من الكبار ضمانا للأذن او السماح له بإظهار العدوان بشكل أكثر.

ان تأديب الطفل وتهذيبه عملية ضرورية لجعله كائنا اجتماعيا يؤمن بالأخذ و العطاء وبحقوق غيره وبالقيم الاجتماعية والمثل العليا وتبعده عن مشاعر الفردية و الأنانية و الحيوانية ولكن هذا الأسلوب اذا تم بالقوة و العنف دفع بالطفل الى العدوان، فالتأديب القاسي في المنزل يرتبط بالسلوك العدواني عند الطفل ويشير فيه الشعور بالحنق و العداوة ويجعله يخترن مشاعر العداوة التي يوجهها مؤدبوه نحو غيره فالطفل الوديع الهادئ الطبع في المنزل قد يتهور خارج المنزل وينزل غضبه بأحد الضعفاء.

الإنسان بين الانفعال والعاطفة المزاجية

يخلط اغلب الناس بين الانفعال والعاطفة المزاجية، كل منها يشمل سلوكه على نحو من الانحاء على هذه الحالات الثلاثة تبعا للمواقف والاحداث التي يواجهها في حياته اليومية وتعامله مع الآخرين.

فاصطلاح الانفعال الذي يردده الناس كثيرا في احاديثهم تعبير عما يشاهدونه في الآخرين من تصرفات انما هي حالة جسمية نفسية ثائرة ومفاجئة تطرا على الانسان ويضطرب لها الفرد بكله جسما ونفسا، ولذا يمكن عدها حالة وجدانية قوية وطارئة، كحالة الرعب والهلع فهي من الانفعالات، ولا يعدّ الاشفاق مثلا حالة انفعالية، فيما يعدّ الحزن العابر انفعالا. اما الحالات النفسية المستديمة نوعا ما، كالابتئاس او القنوط فلا تدخل في زمرة الانفعالات ايضا، وتكون الشهوة انفعالا فيما لا يعد الحب كذلك. فالانفعال بالمعنى الاصطلاحي المحدود الذي يجمع عليه المحدثون من علماء النفس هو حالة وجدانية تشتمل على سمات ثلاث:

- 1 - انها حالة قوية تكون مصحوبة باضطرابات فسيولوجية (عضوية) حشوية (داخلية) بارزة تشمل اجهزة التنفس والدورة الدموية وجهاز الهضم والجهاز العضلي والجهاز الغدي الهورموني.

وهذا لا يعني ان تكون الانفعالات على درجات مختلفة من الشدة والاعتدال.

- 2- والانفعال حالة تظهر على الفرد بصورة مفاجئة وبشكل لا يتيح له الفرصة او القدرة على التكيف للموقف بشكل مدروس.
 - 3- كما تاخذ صورة ازمة عابرة غير مزمنة لاتستغرق وقتا طويلا.
- والانفعال موضوع عام لدى البشر وهو عبارة عن استعداد فطري يدخل في تكوين كثير من الدوافع الانسانية المركبة حيث تؤثر في تكوين الاتجاهات العاطفية والانحيازات والميول الشخصية والعقد النفسية والحالة المزاجية والمعتقدات والقيم بحيث اذا اثرت هذه الجوانب في نفس الفرد انطلق ما بها من انفعال كامن.

بين الانفعال والعاطفة

وفي احيان كثيرة يخلط الناس بين العاطفة والانفعال فيذهب بعضهم للاعتقاد بأن الحنو عاطفة، غير ان الذي يجب معرفته في هذا الشأن هو ان العاطفة تنظيم وجداني ثابت نسبيا ومركب من عدة استعدادات انفعالية تدور حول موضوع معين، قد يكون شيئا او شخصا او فكرة او جماعة. كعاطفة حب الأم لطفلها او احترام شخص لأخر او ولاء المتدين لدينه او حب المواطن لوطنه. فالأم التي تكن لطفلها عاطفة حب تفرح لنجاحه وتحزن لأخفاقه وتسرع للقاءه وتحزن لفراقه او لمرضه، يتخطفها الخوف ان كان في خطر ويتملكها الغضب ان واجهه اعتداء ويصيبها الغم اذا ما انحرف في سلوكه

من هذا يتضح ان العاطفة استعداد ثابت نسيباً، في ان حين يكون الأنفعال حالة طارئة عابرة، وكذلك يتضح ان للعاطفة موضوعاً خاصاً تتمحور عليه انفعالات عديدة في حين يكون الأنفعال مطلقاً غير مقيد بمحور خاص او موضوع محدد.

بين الأنفعالية والمزاج

اما المزاج فهو حالة انفعالية تغشى الفرد مدة من الزمن قد تعاوده بين الحين والآخر، فهي حالة متوقعة، وقد تصطبغ بالمرح او الأهتياج او الأنقباض او التهجم. في حالة استثارة الفرد في انثائها، حينها ينطلق الأنفعال الغالب قوياً عنيفاً. وهي تجتذب الأفكار التي تنسجم معها، فالمنقبض تراوده افكار الأنقباض، والمهتاج يرحب بأفكار الاعتداء، لذا فأن الحالة المزاجية تعدّ اقل عنفا واطول بقاء لو قيست بالانفعال. فالفرد حين يسمع خبراً سيئاً قد يشعر بالحزن وهو بذلك يفعل بالخبر انفعالا عابراً. اما اذا لازم الفرد الحزن عدة ايام او اسابيع سميت حالته (بالأسى) والأسى حالة مزاجية.

ونجد في حياتنا العامة اناساً تبدو عليهم حالات مزمنة من القلق او الانتشاء والفرح، وترجع مثل هذه الحالات في حقيقتها الى عدة عوامل تعمل بمفردها او تعمل مجتمعة، ومن هذه العوامل تكرار الظروف المثيرة للأنفعال ودوامها كالظروف المثيرة للخوف في جبهة القتال او مثيرة للهم في منزل الفرد او محيط عمله، ومنها اطالة التفكير في حوادث ماضية مؤلمة او مخيفة او مقلقة او توهم موصول بشأن مسألة من المسائل المهمة والحساسة كأن يتصور

الفرد بان زوجته تخونه او انه سيطرد من عمله او انه سيصاب بمرض معين او انه على وشك ان يموت.

ولما كان النضج الأنفعالي لدى الأفراد شرطاً أساسياً للتوافق الاجتماعي الناجح او المتوازن والصحة النفسية السليمة، وعاملاً مهماً في قيام العلاقات الانسانية والاجتماعية المعتدلة، بل ان نجاح الفرد وفشله في الحياة قد يتوقف الى حد كبير على العوامل التي تثير فيه الأنفعالات، لذا يعدّ المربون وصول الفرد السوي الى مستوى مقبول من النضج الأنفعالي مسألة اساسية لابد لوسائل ومؤسسات التربية والتعليم ان تتولاها بعناية دقيقة وفائقة وان تكون عوناً للفرد في سعيه الحثيث لبلوغها. ومن دونه فأن الشرور والأخطار السلوكية للأفراد ستتحقق بالمجتمعات ومؤسساتها وتلونها بنماذج سيئة من التصرفات وتؤثر في طرق التعاطي بين الأفراد، بما يساعد على تفتيتها واماته روح التلاحم والتضامن بين افرادها وجماعاتها. الأمر الذي يؤدي بأهداف المجتمع وقيمه الكبرى التي تحتاج من اجل تحقيقها المزيد من الجهود والتعااض والتفاهم المتبادل.

المقد النفسية

تحاول النفس البشرية بواسطة بعض الآليات النفسية التخلص من مواجهة العقبات، وما يواجهها من مصاعب وتحديات. وقد تنجح احيانا في اجتياز العقبة التي تواجهها عن طريق الاستعلاء او التسامي، اذ ينصرف الانسان عن اشباع غرائزه او بعض دوافعه وحاجاته النفسية في الظروف غير الملائمة بالانشغال عنها بشؤون اكبر واعظم، ترجع بالنفع على المجتمع وعلى الانسان بالارتياح ولقناعة، وقد تشغل النفس في ذلك فتظهر تلك العقبات النفسية والتحديات مبرقة بظواهر وعوارض مرضية لا تخفى على المختصين، اذ تتحول العقدة الى نقيضها من خلال ما يسمى بعملية التعويض، كتحويل عقدة الحرمان المادي الى عقدة الجشع والطمع والبخل، وعقدة الضعف الى عقدة الكبرياء والتعالي والفخر، وعقدة الحرمان العاطفي الى عقدة حب الايذاء والشراسة والكبر، وفي اكثر الاحيان تتداخل العقد النفسية مع بعضها فتتجذر العقد ونقيضها في النفس الواحدة، وهذا ما يسمى بازدواجية الشعور والتصرف، وما اكثرها عند اغلب الناس المرضى والاصحاء.

الا ان الفرق بين المريض والصحيح هو في درجة الشدة والمغالاة والازعاج الذي تسببه هذه العوارض عند الاول دون الثاني.

فالناس كلهم يعانون من عقد نفسية مختلفة ولكنهم يختلفون في درجة ذلك ما لم يتصرفوا على وفق عقائدهم عن قناعة واعتقاد، فمقياس الصحة النفسية المتعارف عليها بين علماء النفس هو درجة سعادة الفرد وطمأنينته وسكينته النفسية.

والبشرية كانت ومازالت تعيش حياة القلق والتعاسة حسب الاحصاءات والبيانات المثبتة والمعروفة المنتشرة هنا وهناك، يقول الله في كتابه الحكيم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً) ويقول كذلك (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا).

والعقد النفسية الاساسية التي يعاني منها الناس تنشأ عادة من ميل او انحراف حاجات او غرائز النفس الاساسية نحو التفریط او الافراط بفعل التربية العائلية والمدرسية الخاطئة او العوامل الاجتماعية الظالمة.

فمن غريزة الدفاع عن الذات او حب الحياة، تنشأ عقد الخوف من الموت وما يتفرع عنها من عقد نفسية اخرى كعقدة الخلود وعقدة الخوف من الامراض، وعقدة التعلق المرضي بالولد نتيجة للتوجيه الخاطئ والتربية غير المتوازنة.

ومن غريزة حب التملك تنشأ عقدة الشح وعقدة هم المستقبل والخوف من المستقبل وعقد النقص المختلفة وعقدة اizard الاخرين وعقدة السلطة وحب السيطرة والسلطان وبعض العقد الجنسية، وقد تتحول هذه العقد الى نقيضها كعقدة الاسراف والتبذير.

ومن الاحساس الفطري بضعف الذات والحاجة الى العطف والحب تنشأ وبسبب سوء التربية عقد النقص والخوف من الاخرين وعقد ايذاء الذات والانحرافات الجنسية.

فضلا عن ذلك هناك الكثير من الرغبات النفسية الجسمية التي قد تتحول الى عقد نفسية فرعية عندما تجنح بصاحبها الى التعلق والمغالاة في طلبها واشباعها، يقول العزيز في كتابه (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا).

والعقد النفسية ما هي الا طغيان الالهواء والمخاوف النفسية على العقل وسيطرتها عليه، ولكن حب المكابرة والتغافل عن الحقيقة يمنعان اكثر الناس من الرؤية المتوازنة في اعماق انفسهم لمعرفة مسببات تعاستهم وامراضهم ومشكلاتهم مع انفسهم ومع الناس.

وبقليل من البصيرة والتمعن في الذات ومشاعرها واحساساتها يمكن لإغلب الافراد ان يصححوا وجهة سلوكهم الى ما هو ارضى لله والنفس والمجتمع، ويتجنبوا الاصابة بالامراض والعقد النفسية.

حب الذات او النرجسية

عاطفة الحب عند الانسان عاطفة حياتية أساسية تدفعه الى ان ياتي بانجازات واعمال رائعة في مجال العلم والفن والادب، وهي مسؤولة عن بقاء النوع البشري والمحافظة عليه وارتقائه، فحين تملأ العاطفة قلب الام تضحي من اجل صغارها، وحين تغمر وجدان الاب يسهر من اجل اسعادهم، اذ هي السبب المباشر في الاثار وحب الآخرين وتقدير المصلحة العامة ونبد الانانية والجشع والطمع والاستحواذ وحب التملك والتسلط والسيطرة والعدوان والفتك.

لكن عاطفة الحب لا تشتمل فقط على هذه الجوانب المضيئة في حياة الانسان، اذ ان انحراف هذه العاطفة عن مساراتها الطبيعية، وتحولها نحو الذات بدل ان تتخذ الآخر او الآخرين هدفا لها، تؤدي حتما الى مرض خطر يحد من قدرة الانسان على التعايش مع محيطه بشكل طبيعي، ونعني به هنا النرجسية التي تمثل عبادة مرضية للذات، وتصفها مدرسة التحليل النفسي بانها عشق الذات بصورة لا شعورية. وغالبا ما يتحول هذا العشق الى فصام تعاني منه الشخصية النرجسية، فيكون حب الذات سببا للخيالات والاهام التي تدفع المصاب بالفصام الى تقمص شخصيات متنوعة، كأن يتصور نفسه بطلا مثل نابليون او حكيما عالما كسقراط او

افلاطون، وربما تتطور الحالة تدريجيا الى الاصابة ببعض امراض العقل كجنون الاضطهاد وجنون العظمة.

وطبقا لوجهة نظر علم النفس فان خطر نمو الفرد عاطفيا يسير من الشكل البدائي لحب الذات عبر ارتباطات متعددة حتى يصل مرحلة النضوج، بمعنى انه يتجه او ينتقل طبيعيا من حبه لذاته الى حبه للآخرين اي من الانانية في مرحلة الطفولة الى الغيرة والايثار في ادوار النضوج والتكامل.

ان استعمال مصطلح (النرجسية) يتسع ليشمل ليس فقط حب الذات، وانما نزعة الفرد لكي يقدر تقديرا عاليا جدا صفاته وخصائصه الجسمية والشخصية وفعاله العملية، اكثر مما هي عليه في الواقع. وقد تشير هذه الحالة الى انها تقمص الفرد او توحده مع صورة المثال او النموذج التي يرسمها لذاته وعشقه تلك الصفات البراقة والمعظمة والمضخمة بصورة غير طبيعية.

والنرجسية تؤدي دورا رئيسيا في حياة الفرد فيما بعد. فابحاث علماء النفس أكدت حتى الان ان عاطفة الحب تمر بعدة مراحل في اطار تطورها ونموها من الطفولة حتى البلوغ:

- 1 - حب الذات، حب الطفل في مرحلة الرضاعة.
 - 2 - الحب الطفلي، حب الطفل لوالديه.
 - 3 - حب الشباب المبكر، حب الاصدقاء.
 - 4 - حب الشريك او الرفيق، وهو الحب في مرحلة الرشد.
- وعندما يستمر موضوع الحب عند الفرد على المستوى

الاول اي عند حب الذات، فاننا نصفه بانه شخص (نرجسي) واذا بقي عند المستوى الثاني كان الشخص (اوديبيا) اي مصابا بعقدة اوديب اي مرتبط عاطفيا بوالديه الى ابعد الحدود، وعندما يجمد النمو عند المستوى الثالث تكون جاذبية الفرد نحو افراد من جنسه نفسه، ويصل النمو الى مداه الطبيعي عندما يوجه نحو افراد الجنس الاخر، ويصل الافراد الاسوياء الى مرحلة خامسة هي حب الحياة او ما يسمى بالحب الخلاق او المبدع حيث يتوحد الزوج مع شخصية زوجته ويسخرها في اداء رسالتهما في تربية ابنائهما مؤسسين بيتا مستقرا سعيدا ويساهمان في حياة ناجحة. اما اذا بقي الشاب على نرجسيته بعد الزواج فأنه يصعب عليه التكيف مع شريكة حياته وقد يؤدي الامر الى التعاسة او الفصام.

وهناك حيل دفاعية نفسية تنبع من النزعات النرجسية، تتمثل في عادات الفرد باختلاق اعداء لخطائه مهما كانت مسؤوليته الحقيقية عن هذه الاخطاء، ويدل تحليل مثل هؤلاء الاشخاص عن وجود مشاعر النقص والدونية عندهم، وكذلك الشعور بعدم الملاءمة او عدم الكفاءة، كما ان هذه الحيل تعمل لحماية الفرد من مشاعر الاثم ولوم الذات وتانيبها بعد الاتيان باعمال غير مسؤولة. والنرجسية في بعض وجوهها، نوع من عبادة الذات او عشقتها والولع بها، وبخاصة في صورتها المرضية، يقول الله تعالى في سورة الفرقان (ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا)، غير ان هذه الملاحظة اليومية تكشف عن وجود حالات خفيفة من النزعات النرجسية تظهر في سلوك بعض الافراد العاديين، من ذلك

مثلا المبالغة في رياء الذات، وتأنبها او الاطراء عليها، والتحدث عنها والاكثار من مديحها بما انجزت من بطولات وانجازات بصورة تبعث على ملل السامع واشمئزازه.

النضج الانفعالي والصحة النفسية

يعدّ النضج الانفعالي لدى الفرد دليلاً على التوافق الاجتماعي السوي والصحة النفسية السليمة، فإذا كانت حياة الفرد مضطربة انفعاليا اضطربت صلاته الاجتماعية وعلاقاته الانسانية.. ولعل نجاح الفرد في الحياة مرهون الى حد كبير بالعوامل الانفعالية للفرد، وحسبنا ان نشير الى اثر سرعة الاهتياج وفرط الخوف والارتباب المسرف والغيرة الشديدة على العلاقات الاجتماعية للفرد، وأغلب من يلجأ من الناس في العادة الى عيادات الطب النفسي يعاني من اضطرابات انفعالية كالعجز عن ضبط نوبات الغضب او القلق الشديد من اشياء تافهة او مخاوف شاذة او اكتئاب دائم.

والنضج الانفعالي مرتبة يعسر الوصول اليها من الناس حتى في حال تكامل قواهم الجسمية والعقلية، اذ ان الجانب الانفعالي يتوقف نضوجه على عوامل وراثية واجتماعية، فمن العوامل الوراثية سلامة الجهازين العصبي والغدي الهورموني، ومن العوامل الاجتماعية تربية لا تسرف في الشدة مع الطفل فتتولى تخويله وكبحه على الدوام او ترك المجال له مفتوحا ليتمتع بحرية لا حدود لها، بل تعلمه كيف يدير مشاكله ويعالجها دون ان يطلق العنان لانفعالاته البغيضة لذويه كي لا يعتمد الى كتبها نتيجة لما تثيره في نفسه من شعور بالذنب او الدونية.

والنضج الانفعالي يتطلب:

1 - ان يكون الفرد متحررا من الميول والاتجاهات النفسية الطفولية كالانانية والاتكال على الآخرين والخوف او التردد من تحمل المسؤولية.

2 - ان لا تثيره مثيرات الانفعالات الصبغانية او مثيرات تافهة، اذ ان من المعروف ان مضطربي الشخصية تثير الاشياء التافهة في نفوسهم انفعالات عنيفة.. فالنقد الطفيف او الملاحظة العابرة تثير في نفس احدهم نوبة من الغيظ او القلق او العصبية، والنكتة العارضة قد تثير في بعضهم نوبة من الضحك المستمر دون توقف. وقل مثل ذلك في مثيرات اخرى كالحزن والفرح والدهشة والحماس، حتى تستطيع ملاحظة حقيقة الفرد من خلال الاشياء التي تثيره.

3 - التعبير عن الانفعالات بصورة متزنة بعيدة عن التعبيرات البدائية والطفلية للانفعال، والآنم سلوك الفرد عن كونه مقسورا او واقعا تحت ضغط شديد، فالناضج انفعاليا لا يتشنج ولا يثور بل يفرض ويرفض في هدوء وثبات واصرار، اما مضطرب الشخصية فلا يستطيع ضبط نفسه، فتعبيراته الانفعالية تكون عادة مسرفة في الشدة لا تتناسب مع مثيرات الانفعال التي تثير في اسوياء الناس الا مستوى معتدلا من الانفعال او لا تثير في نفوسهم شيئا على الاطلاق.

4 - ان يكون الفرد قادرا على ضبط نفسه في المواقف التي تثير الانفعال والابتعاد عن التهور والاندفاع، اذ ان الشخص غير الناضج انفعاليا لا يقدر على ذلك، فتبقى مظاهر الانفعال عنده

لمدة اطول تتجاوز مدتها لدى الانسان السوي، كما انها تتسم بطابع القسر فلا يستطيع كفها بارادته، كبكاء الاطفال الطويل او ضحكهم المستديم او انتقالهم من البكاء الى الضحك فجأة وبمجرد تغيير طارئ في المثير.

5 - ان يكون قادرا على احتمال التأزم والحرمان وتأجيل اللذات العاجلة وارضاء الدوافع العاجلة من اجل الظفر بلذات آجلة واهداف واهم واكبر لكنها ابعد مدى، فغير الناضج يسارع الى ارضاء حاجاته الغريزية والاجتماعية مباشرة حتى لو اضررت بمصالحه او ترتب عليها ملاحقة قانونية او استحققت العقاب.

6 - ان يكون رصينا غير متذبذب او متقلب لاسباب بسيطة وتافهة كالقلب بين المرح والانقباض بين الحزن والفرح، بين الضحك والبكاء، بين الغرور والخنوع، بين التحمس والفتور. اذ ان غير المستقر انفعاليا غير ثابت في عمله ومعاملاته، وعلاقاته متردد تطغى عليه الحيرة متقلب المزاج عاجز عن اتمام عمل بداه.

اما الانفعالات العنيفة فانها تشوه ادراك الفرد وتعطل تفكيره وتسلب قدرته على حل المشكلات وتضعف قدرته على التذكر، كما تفقده السيطرة على ارادته وبما يجعل الزمام يفلت منه فيندفع الى ضروب من السلوك الطفولي او البدائي او السلوك غير المهذب. فالانفعالات المنفلتة من عقالها تعطل العمليات العقلية وتوقف الادراك السليم لدى الفرد وتحمله على القيام باعمال قد يندم عليها اجلا او تورثه قلقا دائما.

عاطفة اعتبار الذات

تتمحور هذه العاطفة حول موضوع فكرة المرء عن نفسه، وهي تدفع بقية العواطف الشخصية لتنظم تحتها ولتسود بعضها على بعضها الآخر كي تحقق له عاطفة اعتباره لذاته.

فالذي تسيطر عليه عاطفة حب المال يرى أن طمأنينته النفسية واحترامه لذاته مرتبطان بالمال، وبذلك يكون حب المال خاضعا لفكرته عن نفسه كشخص له اعتبار، كما إن اختياره لأصدقائه يرتبط بعاطفة اعتبار الذات إذ يختار أصدقاءه من بين الناس بحيث يعينوه على تحقيق عاطفة اعتبار الذات وكذلك اتجاهاته السلوكية والمهنية التي يزاولها، والزوجة التي يختارها، ونوع التسلية والقراءات التي يفضلها، وأحيانا تندمج هذه الفكرة اندماجا يكاد يكون تاما بعاطفة قوية، كالتدين أو حب الإنسانية او القومية التي ينتمي إليها أو الوطن الذي ينتسب له، وفي هذه الحالات تبلغ قوة الشخصية مبلغا واضحا.

ففكرة الإنسان عن نفسه واعتباره لذاته إنما تتكون عبر التجارب التي يمر بها في حياته والاتصالات التي يجريها مع من حوله من اناس وأشياء، فالمواطن الذي لم يخرج طيلة حياته من بلده يرى نفسه بصورة مختلفة عن الصورة التي يراها غيره من أبناء بلده والذين تنقلوا في بلدان مختلفة واتصلوا بمختلف الناس

اتصالا فيه اخذ وعطاء وتعاطوا مع غيرهم على مدى من الزمن،
فربما نجد الأول على شيء من الغرور يضحك الذات أما أولئك
فقد لا تجدهم كذلك.

والطفل كثير الأصدقاء يضرب ويضرب ويأخذ ويعطي ويتفاعل
مع غيره، تجده مدركا لنفسه بالمقارنة مع غيره إدراكا أوضح من
الطفل المعزول الذي لا يفارق والديه، فالأشخاص العمليون الذين
يعملون في حرف يدوية أو مشروعات عملية أو تجارب ميدانية،
أكثر تقديرا لمقدرات أنفسهم من الأشخاص الفطريين قليلي
الخبرة العملية، وربما تجد الأشخاص النظريين يحسنون الكلام
ويحسنون فهم ما يقرأون، ولكننا نجد من بينهم عادة المغرورين
الذين يقدرون أنفسهم فوق قدرها، أو أولئك الذين يقدرون أنفسهم
أقل من حقيقتها، ذلك لأن الاحتكاك العملي بالأشياء وبالأشخاص
يعين على تقدير الإنسان لنفسه ومستواها بالنسبة لغيرها، وإن
للإنسان استعدادات فطرية تساعد على القيام بعقد علاقة بينه وبين
غيره وهي استعدادات فطرية عامة اجتماعية واهم هذه الاستعدادات
التي يسميها علماء النفس (التقليد والمشاركة الوجدانية) فعن طريق
التقليد يقوم الأطفال بالأفعال نفسها التي يقوم بها والديهم والكبار
المحيطون بهم، وبهذا يشعرون بأنهم ارتفعوا إلى مستواهم من
حيث القدرة.

والتقليد مجال فعال لنمو الذات وفهم الإنسان لنفسه بالمقارنة
مع غيره ومما حوله، كما إن (المشاركة الوجدانية) تعطي الإنسان
مجالا لفهم الحياة النفسية لدى الآخرين، فهو يتسم لاتبسامة
الآخرين ويكي لبكائهم ويضجر لضجرهم، وكذلك يضجر من

حوله لضجره ويتألمون أحيانا لألمه، وبذلك تكون المشاركة الوجدانية فرصة فعالة أخرى لنمو الذات الاجتماعية.

فذات الإنسان ليست لها قيمة مجردة بذاتها، وإنما يكون مقياس قيمتها مرهونا بمقدار تحققها في المحيط فلا يكفي بان يكون المرء عالما في ذاته، بل لابد لكي يحترم نفسه كعالم ولكي يكون محترما عند الناس كعالم أن يشعر بان الناس يتأثرون تأثرا فعليا بعلمه، وبهذا يرى نفسه تنعكس في الخارج، وبعبارة ثانية يرى آثار نفسه وقوتها حوله، وبقدر اتساع ميدان هذا الأثر وتعدد نواحيه يكون شعوره بأهمية نفسه، فكأن نمو الذات نتيجة من نتائج تفاعلها مع عناصر البيئة ونتيجة لتحقيقها في المحيط.

فالأرملة الغنية التي قد يستولي عليها السأم واحتقار الذات لعدم مشاركتها في جهد اجتماعي، تشعر بتحقيق ذاتها تحقيقا فعليا حين يتسنى لها الاشتراك في عمل اجتماعي يفيد عددا كبيرا من الناس، فتبدأ إنذاك تشعر بقيمتها حيث ترى آثار أعمالها منعكسة في المحيط وبين من أفادوا من خدمتها.

والنشاط الجمعي يفوق النشاط الفردي على وجه العموم في كل من عمليتي نمو الذات وتحقيق اعتبارها، لذلك نجد المتمين للنوادي والجمعيات والأحزاب والمؤسسات ذات النفع العام أو التي تسعى من اجل الوصول إلى أهداف كبرى يحققون لأنفسهم من خلال مشاركة الآخرين نموا ذاتيا ويعززون لها اعتبارها واحترامها، وحين يرون تعرض مؤسساتهم لهجوم الآخرين وانتقادهم يثرون فزعين ليردوا على الاتهام وهم بذلك إنما يدافعون عن أنفسهم واعتزازهم بشخصياتهم.

الحيل العقلية اللاشعورية

يتصرف المرء في كثير من الاحيان على نحو يحقق الاتزان المفقود لنفسه باساليب توصف بانها اساليب لا شعورية، فاذا زاره في بيته شخص لا يحبه، فإنه يحدث احيانا ان يبالغ في الترحيب به، وتؤدي المبالغة هذه وظيفة اساسية وهي تغطية ناحية يخشى ظهورها. وهذه الناحية تلح في الظهور ولهذا يلزمه التشدد في تغطيتها كي لا تظهر. ونجد احيانا شخصا يظهر امام الناس بمظهر المتعبد الزاهد فاذا اتحت له فرصة التعبير عن شهواته ونزواته فانه يغرق فيها اغراقا شديدا، فالتشدد في التعبد والتمسك الظاهري بالمبادئ الاخلاقية بالنسبة له يقوم بتغطية الشهوات التي تلح في التعبير عن نفسها ويؤدي وظيفة اخرى هي محاولة التغلب على هذه النزعات.

وقد يشعر الفرد بالنقص ازاء موضوع معين فيعوض هذا النقص دون ان يشعر بأنه يقوم بذلك، اذ يقوم العقل من تلقاء نفسه بتعويض نواحي النقص دون شعور منه، تخلصا من الشعور بالنقص بطريقة ايجابية.

ومن الاساليب اللاشعورية التي يلجأ اليها العقل الانساني للتهرب من بعض المواقف هو النسيان. اذ ينسى الفرد عادة الاشياء التي لا يرغب في تذكرها، والانسان عموما يتذكر ماله من

حقوق وينسى ما عليه من التزامات، كما ينسى الحوادث المؤلمة، وللنسيان وظيفة هامة وهي تحرير الفرد من الذكريات المؤلمة فيتفرغ بجهده لاعماله اليومية العادية.

ويهرب بعضهم عن طريق القراءة او المطالعة الكثيرة عن حياة الواقع، فيخلق لنفسه بروجاً عاجية يقبع فيها وينظر منها بشيء من الازدراء الى الواقعيين. وقد يهرب بعضهم عن واقعه بالاستغراق في النوم خاصة اذا واجهته مشكلة صعبة الحل كما قد يهرب بعضهم من حياة الواقع باستعمال المخدرات او المسكرات. ويصل الهرب اللاشعوري عند المرء الى اقصاه في حالات فقدان الذاكرة او الاغماء اذ قد يصاب احدهم بحالة اغماء تعفيه من آلامه الشديدة، وتجلب له عطف كثير من المحيطين به. ومن اساليب التهرب اللاشعوري النكوص او (الراجع) فاذا اصطدم انسان بمشكلة يصعب التغلب عليها فانه يرتد احيانا الى الوراء، اي الى اساليب عهد الطفولة والسرف في ذلك ان الشخص يفقد اطمئنانه واتزانة في مثل هذه الحالات فيرجع الى اسلوب كان قد اعتاد ان يسلكه فيحصل على الطمأنينة، كاللجوء الى البكاء في بعض المواقف حيث يساعد على اجتذاب معونة المحيطين به وعطفهم عليه، كما ان الغرق في احلام اليقظة اسلوب آخر من اساليب النكوص ينسجم وحياة الطفولة.

ومن النكوص ان يتحدث الانسان عن ماضيه المجيد الذي عاش فيه او عاش فيه ابائوه واجداداه تعويضاً عن فشل يكتنفه او يحيق به.

وظاهرة (الاسقاط) تعدّ من الحيل الدفاعية اللاشعورية عن النفس ومعناها ان الصفة الممقوتة التي يتصف بها الشخص لا يعترف عادة بانها فيه، وانما يراها منعكسة في الاخرين فنجدّه يصف الاخرين بما في نفسه. فكثير من المنافقين والمتقلبين يصفون الاخرين بانهم كذلك كما ان البخيل يتهم الناس بالبخل. ولظاهرة (الاسقاط) هذه وظيفتان، اولاهما انها تدفع عن الناس تهمة الاتصاف بصفة معينة، وثانيهما انه في حالة عجزه عن دفع التهمة يشعر بانه يشبه الاخرين في هذه الصفة، فان تحققت الاولى يشعر الفرد بالراحة وانه ارقى ممن حوله، وعند تحقيق الثانية يشعر بانه لا يختلف عن الاخرين فلا تجد النفس حينئذ مجالاً لاحتقار ذاتها وهو ما يحقق عدم الاعتراف بالحقيقة المرة. ومن الاساليب الدفاعية الاخرى (التبرير) ونقصه به تقديم تعليقات تبدو للعقل منطقية مقبولة لامور اسبابها الحقيقية انفعالية، فاننا حين نحب شخصا ما ناتي بالعديد من من الادلة على وجود صفات حسنة فيه، ونبرهن على وجودها بادلة تبدو معقولة كما نعدد صفات سيئة فيمن نكرهه ونبرهن عليها بادلة. ولكن السر في الحاليتين يرجع الى الحب والكره المسبقين ازاء من نمدح ومن نذم.

كذلك انتمائنا لا يكون عادة مبنيا على اساس منطقي، ومن ذلك تجدنا ندافع عما ندين به دفاعا يبدو مليئا بالمنطق والمعقولة، كذلك نجد الحزبية والمذهبية والقومية والتحيز وما اليها موضع دفاع ممن يتصفون بها، اذ ان الدوافع الاساسية

الشعورية واللاشعورية التي تدفع الانسان للقيام بالسلوك ليست دوافع منطقية بل غريزية انفعالية، لهذا كانت (الانا) بحاجة الى التبرير والى الخداع الذاتي، كي يعد سلوكها قائما على المنطق والعقل لا على مجرد الدوافع الانفعالية ولأن (الانا) ايضا تتهرب من اللوم وترغب بتنزيه ذاتها.

اثر الانفعالات في التفكير والسلوك

يزداد خيال الفرد خصوبة بتاثير الانفعال المعتدل، كما انه ينشط تفكيره فتتدفق المعاني والافكار في سلاسة وسرعة كما تنشط حركة الفرد ويزداد ميله الى مواصلة العمل. ولا يمكن التفاعل مع موضوع او موقف الا من خلال الانفعال المناسب به.

ولكن الانفعالات الهائجة الثائرة لا تكاد تنجو من آثارها الضارة وظيفية من الوظائف العقلية، فالانفعال العنيف يشوه الادراك ويعطل التفكير المنظم والقدرة على حل المشكلات ويضعف القدرة على التذكر ويشل سيطرة الارادة بما يجعل الزمام يفلت من يد الفرد فيندفع الى انواع من السلوك الصبياني، فترى حينئذ المناقش الهادئ الرزين يلجأ حين يفحم الى الصياح او المكابرة ويصبح عاجزا عن الفهم وغير قادر على اخفاء ما تنطوي عليه نفسه من شك وارتياب او خوف او بغض، بل قد يرتد العالم الرصين فينكص الى مستوى التفكير الخرافي والحجة الاسطورية. والانفعال يشوه الادراك حيث نرى الغضب ان لا يرى في خصمه الا عيوبه ولا يسمع في كلامه الا اهانات موجهة اليه، او الى سلوك الآخرين وهو يرى في كل حدث بريء اشياء ومعاني لا وجود لها في الواقع و كذلك نرى في سلوك الخائفين المدعورين الارتباك والحيرة بحيث يحسبون كل صيحة عليهم هو العدو.

ويتجلى تأثير الانفعال في قدرة الفرد على التذكر كما يبدو ذلك واضحا في نسيان الخطيب لما يريد ان يحدث به جمهوره خوفا منه، وفي انحباس لسان الشاب وهو يخاطب الفتاة خجلا منها، وكذلك عجز التلاميذ عن تذكر الاجوبة الصحيحة لاسئلة الامتحانات وتذكرها بعد خروجهم من قاعة الامتحان.

والانفعال الشديد يعوق التفكير الهادئ المنظم، ذلك ان المنفعل يركز ذهنه ويجمده في فكرة واحدة فقط وهي موضوع انفعاله، والانفعال يعميه عن رؤية كثير من الحقائق والامور، ولا يتيح له الهدوء والتأمل الكافيين للتفكير الصحيح الذي يسلترم منه النظر الى الموقف من ابعاد مختلفة وتحليله الى عناصر متعددة ووزن اهمية كل عنصر، ومثال ذلك ندم المنفعل على ما يتخذه من مواقف وقرارات او يصدره من احكام او يصل اليه من نتائج في اثناء حالته الانفعالية.

والانفعال يرتد بلغة المنفعل الى مستوى طفلي، كما يبدو لدى كثير من التلاميذ في اثناء الامتحانات الشفوية فبدل ان يجيبوا عن السؤال نراهم يكررونه ويتكلمون بكلمات لا ارتباط بينها كالأطفال، وفي حالات الغضب يتكلم بعض الناس بلهجة مبتذلة او بأسلوب كانوا قد تركوه منذ عهد بعيد.

يضاف الى هذا ان الانفعال العنيف يجعل صاحبه ساذجا سريع التصديق لما يسمع شديد القابلية للايحاء، ففي حالات اندماج الفرد في حشد منفعل نجده يسارع الى تصديق ما يشاع من اشاعات واقاويل او اتهامات، ويحدث ذلك ايضا في اثناء زمن الحرب.

والصددمات الانفعالية التي تصيب الفرد في مرحلة الكبر قد تؤدي به في احيان الى انهيار عصبي او عقلي. كحالات التعرض الى خسارة مالية فادحة او وفاة شخص عزيز او فشل في حب او فضيحة اجتماعية او فقدان الفرد لمركزه الاجتماعي او المهني، غير ان الانهيار العصبي لا يحدث عند الفرد ما لم يكن مهيمًا له بحكم وراثته وتربيته في مرحلتي الرضاعة والطفولة المبكرة كما يقرر ذلك علماء النفس.

فالافراد الذين يتعرضون في طفولتهم الى صدمات كالتي يتعرض لها من خلال مرحلة رضاعية عسرة مشوبة بالشحة او الاضطراب او عدم الانتظار المقترن بانفعال الام وسخطها، لان الارضاع عملية اجتماعية تجمع بين الرضيع وامه، فهو يتاثر بحالة امه النفسية ومزاجها وثباتها الانفعالي ومبلغ تقبلها لدور الامومة. وصددمات تنشأ من التعجل او التعسف او القسوة في تعليم ضبط تبوله وتغوطه. واخرى تنشأ من النظام المفاجئ غير المقترن بالعطف لأن الرضاعة عند الطفل تعني عملية ارتباط بمن يزوده بالعطف والغذاء في آن واحد. وصددمات تنشأ بسبب علاقة الطفل بوالديه واخوته واخواته من غيرة وتزاحم للاستحواذ على محبة الوالدين. هذه الصدمات تختزن في لا شعور الفرد وتتحول الى عوامل مهيئة لاضطرابات النفسية والعقلية التي تصيب الفرد فيما بعد حين يتلقى صدمات الحياة وتحدياتها فتكون بمثابة عوامل مساعدة لاندلاع الاضطرابات.

اتجاهاتنا النفسية واثرها في تحديد آرائنا

الاتجاهات والعواطف التي تصاغ اصولها في عهد الطفولة، تكون ذات تاثير باق في حياتنا كلها وفي اخلاقنا وطرق معاملتنا للآخرين، وهي في الغالب اتجاهات وعواطف تستعصي على التغيير.

فأرأنا التي نحكم من خلالها على الاشياء والموضوعات والمواقف، هي اعتقادات نأخذ بها حسب ما يفترض على اساس من المعرفة والواقع لا على اساس العاطفة والرغبات النفسية الذاتية. الا انها في الحقيقة تعبير عن واقع اتجاهاتنا وعواطفنا بدرجة اكبر مما نظنه، وما الواقعية التي نتسلح بها في تبرير آرائنا واعتقاداتنا الا نوع من الخداع الذاتي.

فأن كان اتجاه المرؤوس نحو رئيسه اتجاهًا جافًا بغضًا، فسر المرؤوس كل ملاحظة أو نقد من رئيسه على أنه استبداد به وتحكم فيه أو محاولة للإيقاع به أو تسقط هفواته... أما إذا كان اتجاهًا إيجابيًا طيبًا فسر الملاحظة الناقدة على أنها توجيه ونصيحة خالصة لمصلحته، ولو سالنا المرؤوس في الحالة الأولى عن رأيه في رئيسه لبدأ يعدد لنا مساوئه ويغالي في وصفها، ويمتنع عن ذكر أي من محاسنه أو حسناته، وقد ورد في المثل (حبك الشيء يعمي ويصم) أي يعمي عن رؤية العيوب ويصم عن سماع المثالب

والسلبيات. وبما ان كل اتجاه ينطوي ضمنا على رأي ويتضمن حكما بالقبول او الرفض، بالموافقة او المعارضة، فإزاء الفرد او الجماعة المتجانسة تعطي فكرة تقريبية عن اتجاهاتها النفسية، لذا تدرس الاتجاهات الجماعية للشعب او لفئة منه عن طريق استطلاع الآراء الجماعية وبما يصطلح عليه (باستطلاع الرأي العام) ويكون ذلك حين نريد معرفة اتجاهات الناس حيال موضوعات مثل الانتخابات او توقع فوز المرشحين لها او اعلان الحرب او موضوع اجتماعي كتحديد النسل او اطلاق الحريات وما الى ذلك.

والاتجاهات والعواطف -المعنوية منها بوجه خاص- تمنح سلوك الفرد او الجماعة المتجانسة نوعا من الثبات والاستقرار، اي اننا نستطيع ان نتنبأ بسلوك انسان ما اذا عرفنا مبادئه، فنحكم على تصرفاته سلفا في مواقف معينة تبعا لتلك المبادئ، او نتنبأ بكيفية سلوكه وفقا لما نعرفه منه من عادات سلوكية سابقة او اتجاهات نفسية.

وهذا لا يعني ان تتوافق اتجاهات الفرد النفسية مع ما يحمله او يعرفه من معلومات ازاء موضوع معين، فالفارق كبير بين اتجاهات الفرد نحو الفضيلة او الاخلاق او نحو الدين، وبين معلومات خاصة عن هذه الموضوعات.

فالاتجاهات كما عرفناها سابقا قوى دافعة موجهة، في حين ان المعلومات قوى خامدة، فمجرد معرفة الفرد بمعاني الاخلاق والفضيلة او ضبط النفس لا يؤدي بالفرد الى سلوك فعلي مطابق لمعرفته تلك.

لذلك فان اهدافنا من عملية التربية والتنشئة الاسرية او المدرسية لا بد ان تستهدف تكوين اتجاهات الافراد بدلا من الانهماك في حشو اذهانهم بالمعلومات فقط.

فكم ممن يعرفون الخير يتبع طريق الضلالة والشر؟ وكم ممن يعرفون مبادئ الصحة العامة ولكنهم ينهجون سلوكا بعيدا عن تلك المبادئ؟

وليس طريق الوعظ والنصح والارشاد هو الطريق الامثل لغرس الاتجاهات المرغوبة، ذلك لان النصح لا يفيد الا اذا كان يتمشى مع رغبة الفرد، فنصح شخص مدخن بالاقلاع عن التدخين لا يجدي الا اذا كانت لديه رغبة في ذلك. وتتكون الاتجاهات عن طريق:-

1 - الممارسة الفعلية والخبرة الشخصية والمجهود الذاتي والاخذ والعطاء، لذا يستحسن ان يعيش ابناؤنا ظروفًا ومواقف اجتماعية مختلفة في محيط البيت والمدرسة والمجتمع واثناء الرحلات بحيث تتاح لهم ممارسة ما نهدف غرسه في نفوسهم من اتجاهات وعوظف، فالاتجاهات تتكون من خلال التعامل والمعاناة ولا تلقن، وهذه الطريقة يطلق عليها علماء التربية بالتعلم عن طريق النشاط الذاتي، وهي طريقة اثبتت فاعليتها.

2 - التشويق والترغيب من العوامل الهامة في صنع الاتجاهات، اذ ان ترغيب الفرد وتشويقه للمحافظة على النظام او احترام اراء الآخرين او مراعاة الدقة في المواعيد او اتقان اي عمل

يعهد اليه به مسألة ذات جدوى كبيرة، فالرغبة الذاتية دافع قوي لانجاز الاعمال.

3 - وكذلك القدوة الحسنة والمثال الفعلي والايحاء - اي التأثير دون اقناع منطقي - تقوم بدور كبير في صياغة الاتجاهات لان الافعال اعلى صوتا من الاقوال وايحاء السلوك اقوى من ايحاء الالفاظ، لذلك شدد القرآن الكريم نكيره على قوم بقوله (كبر مقتا ان تقولوا ما لا تفعلون).

ملامح الشخصية غير السوية

الشخصية غير السوية او الشخصية المريضة من وجهة نظر نفسية نادرا ما تشعر او تعترف بعدم اتزانها ما دامت تجد متنفسا لتنفيذ اهوائها وغاياتها ونزواتها غير المقبولة من الافراد الذين تتعايش معهم وتوجد في بيئتهم.

اما اذا جابهها الآخرون ورفضوا الانصياع لرغباتها ونزواتها الشاذة فحينها قد يصاب اصحاب هذه الشخصيات باختلال التوازن الصريح وقد تؤدي بهم الحالة الى عيادة الطب النفسي كمرضى يقتضي انصياعهم لعمليات علاجية طويلة المدى، بعد ان تسبب الكثير من المآسي الاجتماعية، فهي وقتذاك تكون شخصية محطمة ومعذبة غير انها بعد مدة لا تلبث معاودة سيرتها الاولى من اذاء الآخرين ودون اي شعور بالذنب، بل قد تعد نفسها ضحية اخطاء وذنوب الآخرين، وشخصية بهكذا تعقيد من اصعب النفوس علاجا واشدها اذاء للمجتمع.

يشير القرآن الكريم الى خطورة هذه الشخصيات غير السوية على المجتمع في العديد من آياته بل ان بعض السور سميت باسماء بعض هذه النماذج المريضة ابرازا لخطورتها وآثارها المدمرة كسورة (المنافقون) و (المطففين) و(الكافرون).

فمن هذه الشخصيات، المنافقة ذات الوجهين، الكاذبة التي

تستتر وراء الدين والتقوى لتصل الى مآربها الخسيسة (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون)، (اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يفعلون). وقد ينخدع بعض الناس بجميل مظهرها وحلاوة اقوالها (واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة). والشخصية غير السوية هي الشخصية الجبانة (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو).

وهي الشخصية المكابرة المغرورة، المتعالية اليائسة من رحمة الله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون).

وهي شخصية مفسدة تعيث في الارض فسادا وهي لا تشعر بانها مفسدة مخربة بلتعد نفسها مصلحة مثالية (واذا قيل لهم لا تفسدوا قالوا انما نحن مصلحون، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

وهي شخصية تعاني من الريبة والشك بكل شيء بالله وبالناس (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) سيئة الظن بالله والرسول والمجتمع.

وهي شخصية (همازة) (لمازة) سفيهة في اقوالها وتصرفاتها (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ولكن لا يعلمون). وهي شخصية متذبذبة الايمان تتبع ما يتناسب مع اهوائها ورغباتها من اوامر الله ونواهيه فهي قد تصلي ولكنها

تزني وتنفق علنا رثاء الناس وتسرق في الخفاء وتستبيح الربا .
هذه بعض سمات الشخصية غير السوية او المريضة نفسيا،
علما ان في اعماق كل نفس غير مؤمنة حقاً شيئاً من صفات هذه
الشخصية المريضة التي وضحنا بعض ملامحها.
ولا سبيل للتخلص من هذه الصفات قبل استفحالها وظهورها
الا باتباع سبيل الايمان والهداية.

واي علاج نفسي لا يعتمد اساس الايمان الصحيح هو علاج
مؤقت لا يلبث ان يزول بعد مدة قصيرة من الزمن وعند تعرض
ذلك الانسان الى موقف من المواقف الجدية.

كما ان التربية الاسرية المرتكزة الى قواعد الايمان هي
الاساس في تكوين الشخصية المتزنة للأولاد. فاستئصال بذور
الشعور بالنقص امام الفوارق الاجتماعية والجسدية لا يكون الا اذا
اعتقد الانسان بتعاليم الخالق الحقبة التي تساعد على التخلص من
عقد النقص العديدة التي تسبب له فيما بعد اختلال التوازن في
شخصيته وميله نحو المرض.

(الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا
وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل
لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم).

الإرادة

يعرف علماء النفس الإرادة بأنها القوة المتكاملة للشخصية الإنسانية، وان مضمون الانسان وجوهره من حيث هو علاقة حية نشطة بينه وبين العالم يجسد ما هية الإرادة.

فعلاقة الشخص الناشط بالعالم الخارجي اي الشخص الذي يستطيع ان يعطي وياخذ وان يغير ويتغير، ان يحول ويتحول هي علاقة من نوع خلاق وارادي، وصاحبها يعمل ويتألم ويكافح ويبتدع بشكل دائم فهو صاحب ارادة، والارادة ضرورية للشخصية الإنسانية كونها تعيش في عالم يتطلب النضال في سبيل الحصول على لقمة العيش حيث تقابل كل حركة فيها بعقبة او عائق. وحيث يكون الفعل ورد الفعل مرتبطين معا ارتباطا وثيقا.

ووجود العقبات والموانع دليل على ضرورة ممارسة الإرادة حيث تقابل العقبات والموانع بردود افعال ومقاومة مضادة، وتلك هي الإرادة المضادة، والشخصية الهادفة تتجه دائما الى اختيار الطريق الصحيح بعد تأمل ودراسة بارادة صلبة لا تعرف الخنوع او التردد.

ومن الواجب علينا كشخصيات ملتزمة ان نسعى من اجل الكمال في كافة افعالنا وننمي علاقة الحب والرحمة بيننا وبين من يحيطون بنا ونعيش معهم كجماعة متضامنة متوادة ومتحابة.

وللفعل الارادي صفات بارزة منها:

- 1 - ان الفعل الارادي فعل جديد تتمظهر جدته بما يلي:-
 - أ - تمنع المرء من الاندفاع الآلي نحو فعل ما (كلامتناع عن الجواب عن سؤال من الاسئلة بجملة مبتدلة).
 - ب - الارادة تقلب الفعل الغريزي او العادي الى فعل تأملي مقصود فتسبغ عليه حلة جديدة.
 - ت - الارادة تنظم الحركات او التصورات تنظيما موافقا للظروف الطارئة (مثل الهرب من مدينة موبوءة، او انتخاب مهنة من المهن).

2 - الفعل الارادي فعل تأملي ويعني ذلك:

- أ - ان فاعله يشعر بما يريد ويعي ما يقول، ويدرك غاية فعله.
- ب - ويحكم صاحبه حكما عقليا بأمكانية تحققه (اذ قد يرغب انسان في المحال، ولكنه لا يريده، ولو حاول ذلك لمنعه عنه عقله، لذلك فالفعل الارادي فعل معقول).

3 - والفعل الارادي فعل ذاتي اي انه:

- أ - يتبدل بتبدل الافراد.
 - ب - وأنه ليس خارجا عن نطاق قابلياتنا، وامكاناتنا الشخصية.
 - ت - ونتحمل تبعه القيام به.
 - ث - وهو كاشف عن سجايانا وخصالنا، ولذلك فهو مخالف للفعل الاعتيادي المعتمد على العادة لان العادة تقوم على التكرار وهو مغاير للفعل الغريزي لان الغريزة عمياء.
- وكل فعل ارادي يمر باربعة مراحل قبل وصوله الى غايته وهذه

المراحل هي:

1 - تصور الهدف، وهو حالة مشتركة بين نية الفعل، وإرادة الفعل، به يتميز الفعل الارادي عن الفعل المنعكس الذي يتم بلا تأمل سابق والفعل الغريزي الذي تحفزه دوافع فطرية كامنة.

2 - مناقشة البواعث والدوافع اي التدبر بالشيء والحكم على الامر (هل ينبغي ان يفعل او لا بفعل) وهي مسألة لا ترجع الى عمل العقل وحده بل ترجع كذلك الى تأثير الدوافع الانفعالية كالنزعات والرغبات والعواطف، اذ ان البواعث العقلية والدوافع النفسية لو كانت منسجمة ومتفقة مع بعضها لما احتاج المرء الى المناقشة والتدبر فيها، ولكن المناقشة ضرورية لسببين:

اولا: لانها تطلعنا على جميع الدوافع و البواعث المحركة وتبين لنا قيمة الفعل.

ثانيا: لانها تجعلنا نفرق بين البواعث الموافقة للواجب والدوافع المتعلقة بالهوى.

وكثيرا ما تنقلب المناقشة الى معاناة او مأساة عند وقوع تعارض بين مستلزمات الواجب والمنافع الشخصية.

3 - القرار او العزم: وتقود اليها طبيعة المناقشة وتعد الاصل في الفعل الارادي لانه ينهي المناقشة ويوجه الحكم ويختار ويجعل المرء مدركا بان ارادته مسؤلة عن عملها بقدر علمها به وحريتها في اتخاذ القرار النهائي.

4 - التنفيذ: وهي مرحلة تجسيد القرار، اذ لايجوز اعتبار القرار

تاما الا اذا صاحبه التنفيذ، فالنية لا تعادل الفعل لانها كثيرا ماتكون فكرة غامضة او رغبة ساذجة. وليس التنفيذ من عناصر الارادة الاصلية لانه يتعلق بظروف خارجة عنا.

هذه المراحل الاربعة تؤدي عملها بطريقة ترابطية شديدة التداخل اذ لايمكن تصور عمل الارادة مستقلا عن البواعث والدوافع النفسية او منفصلا عن الافكار والعواطف، فكل عزم تابع لامتزاج العواطف والاهواء بالتصورات والافكار.

والارادة على العموم مقيدة بشرطين اساسيين هما تصور المثل الاعلى والايمان بالنفس؛ فتصور المثل الاعلى يختلف باختلاف الناس واختلاف ظروفهم، وكلما كان المثل الاعلى ارفع واسمى كانت القوى اللازمة لتحقيقه اكثر واكبر، واذا افتقد الانسان مثله الاعلى جمدت جذوة الحياة عنده، فالهدف العظيم يخلق الرجل العظيم.

اما الايمان والثقة بالنفس فهي لازمة لنجاح المرء في معاركه الحياتية المختلفة، واذا لم يقاوم المرء شعوره بالنقص هبط الى الهاوية وخسر كل شيء.

امراض الإرادة

تقسم امراض الارادة على ثلاثة انواع هي:

1- فقدان الاندفاع: وهو ينتج من فقدان قوة التحريك الذاتي، فالنزعات البشرية المختلفة قد تضعف حتى تزول معها قوة الاندفاع وتتوقف الرغبة الى القيام بالفعل، وتنشأ عن ذلك ظاهرة فقدان الارادة، ومن اعراض هذه الحالة، ان المريض يرغب في الفعل ولكنه لا يستطيع الى ذلك سبيلا، وقد يبقى المريض وحده مستلقيا في فراشه او على كرسيه زمنا طويلا من غير ان يقوم بعمل من الاعمال لضعف حسه وقلة تأثره وركود نزعاته الدافعة.

وينشأ الضعف في قابلية الحس من انحطاط عام في وظائف الحياة، وقد يبلغ احيانا درجة يشعر المريض معها بأنه اصبح جمادا او حطبا يابساً كما في حالات مرض (المليخوليا) حيث تبطأ دورة المريض الدموية وتهبط درجة حرارته وتضعف حركاته.

والمصابون بفقد الاندفاع اكثر الناس خيالا، فهم يدعون انهم اقوياء الارادة، قادرون على عظام الاعمال واهمها، وانهم سيتحفون الناس بكتاب جديد، او نظرية جديدة او مشروع منقذ، فعقولهم مفعمة بالمشاريع الجميلة والنيات الطيبة والاحلام اللذيذة، ولكن هذه المشاريع لا تقترن بالتنفيذ ابدا، وتبقى حبيسة الخيال الشخصي والوهم الكاذب.

2- فرط الاندفاع: وهي حالة مرضية مخالفة للحالة السابقة تماماً، حيث يندفع صاحبها بشدة الى الفعل من دون روية او تفكير. وبعبارة اخرى تتسلط على المريض فكرة ثابتة لا يمكن طردها من الذهن كالاندفاع في ارتكاب الجنايات والانتحار وجنون السرقة.

ان اعراض هذا المرض مختلفة عن اعراض فقدان الاندفاع تماماً، لأن الملكات العقلية تكون فيه اضعف من الدوافع الحسية والانفعالية، وامتى ضعف العقل امست الارادة آلة في يد الغرائز تسيرها كما تشاء على غير هدى، وقد تكون الدوافع المحركة شعورية وقد تكون لا شعورية، ولكنها في كلا الحالتين متبوعة بالتنفيذ السريع، والفعل الذي يعقبها شبيه بالفعل المنعكس.

يقول (تولستوي) اذا علمت ان الفكر قد يتوقف عن مراقبة اندفاع الارادة، ادركت حالة ذلك الطفل الذي اضرم النار في بيت ابيه وهو يتسم من غير تردد ولاخوف، مع ان اباه وامه واخوته وجميع الذين يحبهم كانوا نائمين فيه.

وكم من الناس من يضرم الحقد والتخريب في مؤسسته الاجتماعية او الدينية او السياسية ويرى بأمر عينيه انهيارها وخرابها نتيجة افعاله الانفعالية وهو يتلذذ من منظر الدمار الشامل الذي يحيط بها وهو ينظر اليها نظر الطفل الابله.

3- بطلان الارادة، او حالة غلبة الوسواس: في كثير من الاحيان تنحل الارادة انحلالاً تاماً، فيتولد من ذلك حالة يسميها

العلماء بحالة التشوش او فقدان التوازن او الفوضى، وهي شبيهة بالحالة التي كان يسميها العلماء بـ (الخلل) فمن اعراض هذه الحالة، ان المريض يتحول من حالة الحزن الى السرور بصورة عجيبة وسريعة كما ينتقل بين الضحك والبكاء، ومن الرحمة الى القسوة، بحيث يعجز عن كبح جماح نفسه او السيطرة على حركاته او مقاومة دوافعه الداخلية المتعارضة.

وحالة المريض تشبه الى حد كبير حالة الطفل الصغير الذي لم ينضج انفعاليا بعد، اذ يمكنك ان ترى في عينيه دموع الحزن وفي الوقت نفسه تفرش على شفثيه ابتسامة رضا سريعة نتيجة تغير في الموقف او بروز حدث جديد او ظاهرة تبرز امام ناظره. وقد يؤدي مثل هذا التشويش والاضطراب في توازن النزعات النفسية الى فناء الارادة كما يحدث ذلك في حالة المشي في اثناء النوم عند بعض المصابين بهذه الظاهرة.

نستنتج مما تقدم ان امراض الارادة ملازمة على العموم لضعف التركيب الذهني، وهي ظاهرة من ظواهر الانحطاط النفسي المصحوب بفقدان الشعور بالواقع، وتكون هذه الامراض في الغالب مصحوبة بفقدان الحس الاجتماعي، بحيث اذا كلف المريض القيام ببعض الاعمال امام الناس عجز عن ادائها.

وضعفاء الارادة ينقطعون على الاغلب الى نفوسهم، وينطوون على ذواتهم، ويعيشون حياة داخلية محضة.

الإرادة بين الرغبة والإنفعال والتعقل

يعتقد بعضهم ان هناك تلازما بين رغبات الانسان وارادته في اداء عمل ما، لأن (الرغبة) او الفاعلية في رايهم صفة مقومة للارادة، والحق ان كل ارادة تتضمن شوقا ورغبة، ولذلك اعتقد (كوندياك) ان الرغبة جوهر الارادة، وان الارادة ليست سوى رغبة مطلقة يشعر معها الانسان بامكان حصوله على الشيء المراد، وذكر لذلك شرطين اساسيين هما:

1 - ان تكون الرغبة مطلقة.

2 - ان يحكم المرء بامكان الشيء المرغوب فيه، وهذا ضروري لأنه قد يرغب في المحال ولكنه لا يريد الا الاشياء الممكنة. ويقصد بالرغبة المطلقة هنا الرغبة المسيطرة او الغالبة والتي تنفرد وحدها بالتاثير في الانسان من دون سائر الرغبات والنزعات الاخرى.

غير ان الواقع الذي نحسه وندركه في حياتنا، كون الرغبة عنصرا بسيطا من عناصر الشخصية وغالبا ما تكون متبدلة متغيرة او تكون ضربا من الهوى، وقد ينكر الانسان فيها نفسه، ويعجب لانقياده لها ويصغر في عين نفسه بعد زوال عاصفتها. بخلاف الارادة التي يدرك الانسان فيها قوة شخصيته ويعرف بها ذاته، ويدرك حريته في الاختيار، ويتطلع الى هدفه وغايته من خلالها.

وكثيرا ما تكون الارادة مضادة للرغبات، فقد ارغب في الزهدة وامنع نفسي منها، فاتغلب بارادتي على رغبتي، وقد اشتهي طعاما وارفع يدي عنه، ونفسي تشتهي، وقد يضحي العاشق بحبه، ويسحق شوقه وعاطفته ويكره نفسه على ارادة ما لا تحب، او على حب ما لا تريد في سبيل القيام بالواجب. فالرغبة تتولد فينا وعلى الرغم منا، وتسير بلا تردد ولا اختيار.

اما الارادة فهي على نقيض ذلك، حرة في افعالها، ومهمتها في الغالب مجاهدة الرغبة والوقوف بينها وبين مطالبها. ان الانقياد للرغبات امر سهل، والتغلب عليها صعب، ولكن الارادة لا تسير الا في طريق المقاومة الشديدة وتحدي العقبات، فالمريض الذي يتكلف الصبر وهو تحت مبضع الجراح، والشريف الذي يهزأ بما يقال فيه حرصا على القيام بواجبه، يتبعان في اعمالهما طريق المقاومة الشديدة فيحدثاننا عن قهر الشهوات وكبح جماح النفس وهذان فعالان متعديان لا يستعملهما الكسول والجبان والمتردد عند الحديث عن انفسهم.

فلا نسمع منهم شيئا عن مجاهدة النفس والانتصار والقناعة والجهد والشجاعة، والذين تسيرهم الرغبات لا يستعملون الا الافعال اللازمة فيقولون لنا مثلا ان املهم قد ضاع وان الدنيا قد اظلمت في وجوههم، وان اذانهم لا تصغي لنداء الواجب، وجميع هذه الافعال لا تدل على جهد ولا على اي قدرة معنوية.

يقول الامام علي (ع) بهذا الصدد قدر الرجل على قدر همته.

والشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية.

ثم يصف الحلم والاناة عند الانسان بانهما تؤامان ينتجهما علو الهمة، ويوصي (ع) المؤمنين بالتمرن على الارادة بقوله (اكره نفسك على الفضائل فان الرذائل انت مطبوع عليها).

ويلزم بهذا التدريب منذ مطلع حياته لئلا تتكلس صفاته وتأخذ صفة العادة اللصيقة بشخصيته فيقول (من لم يجهد نفسه في صغره لم ينبل في كبره). ولذلك فهو يقول (من كلف بالادب قلت مساويه).

واما ارادة الانسان فلا توجد الا حيث تتعارض النزعات الانفعالية وتتغلب نزعات المستقبل على نزعات الحاضر، وما الارادة في حقيقتها الا نزعة انفعالية حقيقية تسوق المرء الى الفعل وتحول دون تأثير غيرها من النزعات لسعة نطاقها، واستمرارها وقوتها، والامزجة الحساسة اضعف الامزجة اتصافا بالارادة.

الا ان هناك نوعين من الانفعال، الاول يشتمل على الرغبات والاهواء الحسية والشهوات البدنية. والثاني يتضمن الانفعالات العالية الناتجة من الشعور بالواجبات الاخلاقية والاجتماعية ومنزلة هذا النوع اعلى من منزلة النوع الاول.

فالارادة ليست نزاعا نفسيا دائما لان التنازع لا يولد الا التردد والانقياد للنزعات، لان الانقياد لا يشتمل على اي جهد، وانما هي جهد تركيبى يمنع من الانقياد للنزعات ويقطع التنازع بين الميول.

والعوامل العقلية تؤثر تأثيرا كبيرا في تكوين الفعل الارادي لان الارادة تقتضي تصور الهدف ومناقشته، وتستلزم قبل الفعل الشعور بتنازع الميول، فالعقل رسول الحق كما يقول أمير المؤمنين (ع). ومع ذلك فالارادة ليست قوة ناشئة عن التصورات العقلية وانما هي تركيب ذهني تشترك فيه الشخصيات العاقلة كلها، وان التصورات لا تحرك الانسان كما تحركه العواطف، بل العواطف تهب للتصورات قوة جديدة، وكثيرا ما ترجع قوة الفكر الى العواطف التي توقظها، ان هي خلت من العواطف ضعف تأثيرها. وفرق كبير بين العلم بالخير والعمل به، وبين ادراك فساد الاعتقاد والتجرد منه بالفعل.

ولذلك نجد الرسول الكريم (ص) يندد بمثل هؤلاء العلماء غير العاملين بعلمهم بقوله (أشد الناس عذابا في القيامة عالم لم يعمل بعلمه ولم ينفعه علمه) وهم عنده صنفان (عالم عمل بعلمه فهو ناج، وعالم تارك لعلمه فقد هلك).

كيف نربي ارادتنا

ارادة الانسان تنمو بالممارسة والتمرين، فكلما مرن الانسان نفسه على الجهد الارادي اكسبه هذا التمرين عادات نافعة، واغلب الناس لا يولدون اقوياء الارادة ولكنهم بالتمرين المستمر يتعلمون انتخاب الامور وترجيحها، لان ضعف الارادة او فقدانها كثيرا ما يكون ناشئا عن عدم الممارسة وقلة التمرين، فكل واحد منا يتعلم امتلاك نفسه ازاء المؤثرات الخارجية، وقد يعجز عن ذلك نتيجة الكسل او التعب او الشيخوخة، ولكن تربية الارادة ممكنة في كل وقت وفي جميع المراحل، وعلى مدى العمر كله.

ومما يساعد في تربية الارادة:

1- صحة الجسم: لان الارادة القوية لا تكون الا في الجسم السليم، وصحة الجسد وسيلة اساسية لامتلاك النفس والتحكم فيها، فلا بد من الاخذ بقواعد الصحة، والتمرين الرياضي والراحة. ولا يكون الانسان قوي الارادة الا اذا كان ذا جملة عصبية صحيحة، ولا يتأتى له ذلك الا اذا اعتنى بغذائه وتنفسه وراحته، فلاطعمة الثقيلة تتعب الجملة العصبية وتضعف الارادة، كما لا بد من ممارسة الرياضة والمشي في الهواء الطلق وتمارين الفتوة والرحلات العلمية والقيام ببعض الاعمال اليدوية في اوقات الراحة، وتنظيم اوقات الراحة بعيدا عن الكسل، لان الكسل عدو

الارادة اللدود.

وعلى وجه الاجمال فان الجهد العضلي هو الصورة الاولى للجهد الارادي، يقول الامام علي (ع) بهذا الصدد (شيئان لا يعرف فضلهما الا من فقدهما الشباب والعافية)، ويقول كذلك (كثرة الاكل والنوم تفسدان النفس وتجلبان المضرة).

2- الانتفاع بالعادات والحركات السلوكية اللارادية الصالحة منها والراسخة فالعادات الصالحة كالنظام والاعتدال وتسهيل تربية الارادة، والحركات اللارادية تعين على الاقتصاد في الوقت، الا انه يشترط في هذه الحركات ان تتصف بشيء من المرونة، وان لا تكون صلبة ولا قاسية. لانها اذا اصبحت الية محضة حالت دون تقدم الارادة، فالالية اذن شرط في تربية الارادة ولكنها اذا استحكمت ادت الى اضعاف الارادة وافنائها.

يقول الامام علي (ع) بشأن قوة العادة ونفوذها (ذلولوا انفسكم بترك العادات وقودوها الى فعل الطاعات وحملوا بها اعباء المغارم وحلّوها بفعل المكارم وصونها عن دنس الأثم)، فالمرء عنده (حيث وضع نفسه برياضته وطاعته فان نزهها تنزهت وان دنسها تدنست) ولذلك فهو ينصح (بعدم ترك الاجتهاد في اصلاح النفس فانه لا يعين عليها الا الجد).

3- حب النظام: اذ ان التعاون والعمل وتعود النشاط من شروط تربية الارادة، وعلى المربين تربية الطفل على ان يتعلم الطاعة قبل كل شيء، لان ذلك يعوده قهر النفس وكبح جماح رغباتها، ومن تعلم الطاعة تعلم النظام وعرف كيف يدبر اعماله

ويسوس نفسه ويسوس الآخرين، وللأسرة والمدرسة اثر بالغ في خلق هذه الروح في نفوس الاطفال، وكلما نمت مدارك الطفل قوى شعوره بضرورة الخضوع للنظام فيتبعه بارادته ويرضى عنه بنفسه ودون قهر او قسوة من جهة خارجية، فارادة النظام قائمة على روح التشبث الشخصي والشعور بالتعاون الجماعي، يقول الرسول الاكرم (ص) في هذا الصدد (لو اجتمعتم على البر لتحاببتم).

4- تثقيف الذهن: بالتفكير والانتباه، لان الارادة للعقل، اما الطيش والذهول وتشتت الافكار فهي مما تضر الارادة وتضعفها ولا تكون ارادة المرء قوية الا اذا تصور هدف الفعل واضحا في ذهنه.

يقول (ويليم جيمس): (ان الرجل القوي الارادة يصيخ بسمعه من غير تردد الى صوت العقل وان كان نداؤه ضعيفا ويصغي بلا خوف الى الفكرة المنبئة بالموت فيستقبلها جميلا ويحتفي بها ويصدقها، ويحارب في سبيلها التصورات المضادة التي تريد ان تخرجها من دائرة الشعور) وهكذا تتغلب الفكرة المضادة على غيرها من الافكار مستعينة بجهد الانتباه والحزم حتى تغير تيار الشعور، ومتى تغير الشعور تغير الفعل، لان الفكرة الجديدة تولد جميع نتائجها الحركية عندما تصبح سيدة الموقف، وسبيل ذلك ان يقاوم الانتباه الافكار التلقائية ويصر على دعم الفكرة الجديدة حتى تظهر وتبرز.

وان الجهد المقوم للانتباه هو مقوم للارادة ايضا ولان كان الانتباه لحمة الارادة فالتفكير سداها، يقول الامام علي (ع) في

الحديث عن هذه الخصيصة (فضل فكرة وفهمها انجع من فضل تكرار ودراسة)، (ومن اكثر الفكر فيما تعلم اتقن علمه وفهم ما لم يكن يفهم).

5-تهذيب العواطف: فالافكار لوحدها لا تكفي لتغذية الفعل، بل تحتاج الى تثقيف العواطف السامية التي تدفع المرء الى ارادة المثل العليا، ولا يستطيع المرء انجاز الاعمال العظيمة الا بشدة الحماسة وقوة العاطفة.

لذلك ينبغي صقل هذه العاطفة وتنظيمها وتعلم طرق توجيهها، لان الحماسة والانفعال شرطان لازمان للارادة الفعالة، ولا شيء اقرب للارادة من جمود القلب والشك في قيمة العمل وجدواه.

الفصل الثاني

مقالات في المجتمع

انواع الجماعات وخصائصها

الانسان بطبعه يميل عادة الى ان يعيش مع الاخرين، لذلك يشعر بالضيق والاضجر ان عاش لوحده، وكثير من الناس يشعرون بالارتياح والانس لمجرد الاحساس بانهم مع غيرهم من الناس، كما ان بعضاً منهم يشعر بالارتياح لمجرد السير في شارع مزدحم بالمارة لأن هذا يذهب بكثير من وحشتهم ووحدتهم.

الجمهرة: ونحن حينما نجد مجموعة من الناس يمشون في شارع كبير من شوارع المدينة، فاننا لا نجد اية علاقة تربط بعضهم ببعض، فلكل منهم اتجاه ولكل منهم فكرة تشغل باله. فاذا ما حدث حادث مفاجئ في مكان قريب، نرى جميع المارة يتجهون صوبه لمعرفة حقيقة الامر، وفي هذه الحالة نجد المجتمعين يعيشون فكرة واحدة ويتصرفون تصرفاً متشابهاً. ونبدأ حينها نرى ولأول مرة فكرة (الجماعة) بمعناها الحقيقي، ونسمي هذا النوع من التجمع بالجمهرة، ويشكل افراد الجمهرة جماعة ذات شعور موحد، ولكنه يمتاز بقصر العمر، فالجمهرة تجتمع بسرعة وتنحل وتنفرق بسرعة ايضا. وليس لها - كوحدة اجتماعية - اي ذكريات او عواطف تجاه بعضهم ببعض او اهداف بعيدة، وانما يجمعها ضمن ذلك الوقت القصير شعور جمعي سطحي مؤقت.

جماعة النادي: اما النوع الثاني للجماعة التي تمتاز بعمر

اطول من النوع السابق، فنسميه بجماعة النادي، ويمتاز عما سبقه بوجود ارتباط داخلي وعلاقة بين افراده، ويمتاز كذلك بوجود هدف او مجموعة مشتركة من الاهداف والاغراض بين افراده، كما يتصف بشيء من الاستقرار والثبات، ونجد لافراد هذا النوع من الجماعات ذكريات وعواطف مشتركة، ومن امثلتها الاحزاب السياسية والاتحادات المهنية والنقابات المختلفة، وتلاميذ المدرسة الواحدة وجنود المعسكر الواحد.

ويتميز افراد هذه الجماعة بمشاعر متجانسة ويجتمعون في العادة فيما بينهم لتقوية هذه المشاعر، كما انهم يجتمعون لتحقيق اهداف مشتركة، وخلال ذلك تزداد علاقاتهم وتتوثق معتمدين على التواصل المستمر في مكان معين والاتصال فيما بينهم، ويجمعهم نوع من التنظيم ينمو بحكم التمايز، ويحملهم على تحقيق اهدافهم المشتركة وتقوية شعورهم او وعيهم الجمعي، وتوضع لذلك في العادة قوانين واحكام تحدد الصورة العامة لتنظيمهم. ومن خلال نشاطهم تنمو العواطف وتصبح للجماعة ذكرياتها وعواطفها وتقاليدها الخاصة، الامر الذي يمكن الآخرين من التنبؤ بسلوكهم كجماعة في بعض المواقف، فمن السهل مثلا التنبؤ بسلوك الحزب السياسي في مواقف معينة.

الطائفة: اما النوع الثالث للجماعات فهو ما نسميه بالطائفة، وهو يختلف عن النوع الثاني في كونه اشد اتصالا بحياة الفرد، بحيث اذا ما تزعزعت الجماعة/ الطائفة فانها تترك اثرها في كيان الفرد فتزعزعه كذلك، وتشابه الطائفة النوع الثاني من الجماعات،

بعواطف افرادها وذكرياتهم وغاياتهم ونظمهم وما يقوم بين افرادهم من تمايز يؤدي الى ظهور الزعامات الموجهة بينهم.

وعلى العموم فان انتماء الفرد لطائفة دينية يعدّ اكبر عمقا وابعدا اثرا من انتمائه لحزب سياسي او نقابة مهنية، ويدخل في هذا النوع فكرة الوطن ايضا، اذا ان زعزعة كيان الوطن يؤدي الى زعزعة كيان الفرد بصورة جدية.

وذكريات هذا النوع من الجماعات وعواطفها تكون عميقة جدا، فذكرياتهم تتمثل في تاريخ الامة باسرها او تاريخ المعتقد الذي هم عليه، كما ان غايات الجماعة تكون مؤثرة الى حد كبير في حياة الافراد، ونجد الفرد عادة يطابق بين ذاتيته وطائفته، ويعدّ انتصار الطائفة انتصارا له وكرامتها كرامته. وتزداد وحدة الطائفة وتماسكها كلما ازداد التفاعل والاتصال بين افرادها.

العوامل المؤثرة في قوة وتماسك الجماعة

بعض الجماعات تتميز بالتماسك والقوة أكثر من غيرها وذلك لتوافرها على عدة مميزات مؤثرة:

1 - الأرض / المركز: من أولى عوامل القوة هو استمرار الجماعة واستقرارها، فالجماعة التي لها مكان معين تكون أكثر استقراراً واستمراراً من غيرها، فالعشيرة التي تمثل إحدى أنواع الجماعات، والتي تمتلك أرضاً تعيش فيها، تستمر مدة أطول من القبائل البدوية التي تتصف طريقة حياتها بالتنقل وعدم الاستقرار، كما أن الحزب الذي يتخذ لنفسه مقراً أو مركزاً لعقد اجتماعاته وإدارة مهامه يكون أقرب للاستمرار من الحزب الذي لا مقر ثابت له. ومما يضمن استمرار الجماعات ثبات الأشخاص فيها ثباتاً نسبياً إذ يراعى في تكوين منظمات الجماعات بقاء عدد من أعضائها عند كل حدوث تغيير ما، فلا يتبدل في المرة الواحدة جميع الأعضاء، وبذا تنتقل أفكار الجماعة وأهدافها وتنظيماتها من السابقين إلى اللاحقين دون تغيير أساسي.

نرى ذلك بوضوح في مدارس الحوزات الدينية حيث تنتقل تقاليدھا ونظمھا وأساليب التدريس فيها من جيل لآخر دون تغيير يذكر، الأمر الذي حافظ على أوضاع الحوزة أحقاباً متتالية على الرغم من محاولات التجديد والتطوير التي نادى بها كثيرون ممن يهتمهم ذلك.

2 - معرفة طبيعة الجماعة وخصائصها: الميزة الثانية التي تمنح الجماعة قوتها وتماسكها، هي ان كل عضو من اعضائها لابد من ان يكون مدركا لطبيعة الجماعة، عارفا بطريقة تنظيمها وتكوينها حافظا لقوانينها والاعراض التي تسعى لتحقيقها، حريصا على العلاقات التي تربط بين افرادها. عند ذاك يمكن للمتممي ان يساهم في نشاط الجماعة بجد وفعالية، فعضو البرلمان في الدولة مثلا، عليه ان يعرف رسالة المجلس ويعرف حقوقه وواجباته، وحدوده في تمثيل المنطقة التي انتخبته، وان يعرف اساليب النشاط وموقفه من الحزب الذي ينتمي اليه، ومن الفئات الاخرى التي يعارضها لكي يقوم بواجبه بطريقة مستنيرة وواضحة.

3 - التحدي: العامل الثالث هو نوع التحدي الذي تواجهه الجماعات من خارجها، حيث تتكتل في مواجهة العامل الخارجي على الرغم من وجود بعض الخلافات الداخلية بين اعضائها، لئلا على ذلك الحالة الشعبية العامة التي تعم دولة ما، حتى وان كانت تعيش يومها نوعا من صراع الخطوط والاتجاهات السياسية المختلفة داخلها، نرى كيف تتوحد صفوف الناس باتجاه التصدي للعدوان الخارجي، ونجد مثل هذه الحالة تتكرر عندما تعتدي طائفة على طائفة اخرى، او جماعة سياسية على جماعة سياسية اخرى، ولهذا نجد، مثلا، ان المباريات الرياضية بين فريقين دولة واخرى او فريق رياضي وآخر، يقوي الروح الجمعية بالانتماء لدى الفرقاء المعنيين.

وللتعاون اثره في ايجاد الوحدة بين افراد وقع عليهم كمجموعة اعتداء من مجموعة اخرى، فالتصادم بين فريقين كفيل

بزيادة التعاون بين افراد كل مجموعة، والامر نفسه في يحدث اثناء مواجهة الاخطار العامة كانتشار وباء معين او زلزال او حريق، فترى الناس يلتحمون فيما بينهم وينسون خلافاتهم من اجل درء الخطر.

4 - خلق التقاليد بين الجماعة والمحافظة عليها: هذه التقاليد تتخذ اشكالا كثيرة كالاعلام والاشارات والملابس الخاصة، والاحتفال في مناسبات خاصة واقامة المراسيم العامة واساليب السلوك المختلفة، كما هو قائم اليوم لدى الدول المختلفة وعادات وتقاليد الطوائف الدينية والشعوب في العالم.

5 - التنظيم: والتنظيم في داخل الجماعة يعدّ احد العوامل المؤثرة في تماسكها وقوتها، فالتنظيم يحدد لكل شخص عمله ووظيفته داخل الجماعة، فهذا له الزعامة وذاك امين السر، وثالث مسؤول عن القضايا المالية، وآخر عن القضايا الاعلامية، وما الى ذلك من الوظائف التي تمنح الجماعة شكلا خاصا تلتزم من خلاله بدستور او نظام خاص يحقق اغراض التجمع.

6 - نجاح العمل الجماعي: كما ان تحقيق عمل ناجح من الجماعة يعزز شعور افرادها بالتماسك والقوة، فمن شأن النجاح في العمل الجماعي ان يشعر كل فرد بقيمته حيث يفخر بانتسابه لجماعة لها مكسب او انجاز واضح، وان ذلك يحمله على الاحساس بالقوة والغبطة واحترام الذات والشعور بالطمأنينة، وان اية جماعة تنجح في اشعار افرادها بالثقة بالنفس، تجد افرادها اكثر تماسكا في خدمة الجماعة والدفاع عنها والعمل على تحقيق مصالحها.

مميزات العقلية العامة للجماعات البشرية

تتميز الجماعات الانسانية بخصائص نفسية تختلف الى حد معين عن الخصائص النفسية للفرد، فهناك قوى ثلاث تؤدي الى تجانس وتقارب وتماثل وجدان وافكار وسلوك الافراد ضمن الجماعة، هذه القوى هي: المشاركة الوجدانية والاستهواء والتقليد. فالفرد في وسط الجماعة وضمنها يشعر بقوة لمجرد وجوده بينهم، كما انه يكون قليل المقدرة على ضبط نزعاته الخاصة، فالجماعات التي تشترك في الثورات والمظاهرات الجماهيرية وما يشبه ذلك، يقل فيها الشعور الفردي بالمسؤولية وتضعف لديها محاولة ضبط الاندفاعات الخاصة، فيكون الفرد اكثر انطلاقا في تحقيق ما يعتمل في نفسه، فالجموع الغاضبة مثلا، وان كان فيها افراد وشخصيات يتصف بعضهم بمستوى ثقافي وعلمي رفيع، فانهم، وهم في تلك الحالة يفقدون الشعور بالمسؤولية التي يحسون بها وهم في حالة الانفراد، فتصرف الفرد ضمن المجموع يلقي بعبء المسؤولية عليها، ويحرر الفرد من تبعيتها الى حد كبير.

واذا تأمل الفرد نفسه وهو وسط جماعة كبيرة، فانه يجد ان صوته يرتفع بالضحك او الصياح او الهتاف بصورة لم يعهدها في نفسه وهو منفرد، كذلك يجد نفسه في مواقف معينة ميالاً الى التخريب والاخلال بالنظام بصورة لا يرتضيها لنفسه في الاحوال

الاعتيادية، وسر ذلك قد يرجع الى عدم تحديد المسؤولية وتشخيصها في حالة الجماعات، كما يرجع بعضه الى الشعور بالقوة والانتماء الى الجماعة الذي اشرنا اليه.

ولذلك يرى بعض علماء النفس من خلال تحليل السلوك الفردي ضمن الجماعة ان عقلية المجتمع او الجماعة اقل من عقلية الفرد، فالذي يظهر من سلوك الفرد حين يتصرف ضمن سلوك جماعي، هي الصفة المشتركة من السلوك مع غيره، فاذا اجتمع طبيب ومهندس ومحام ومدرس ومزارع، فان الذي يظهر بينهم من الصفات النفسية لا يكون اعلى ما في الطب او الهندسة او الزراعة، لان اي من هذه الصفات لا تثير اهتمام الجماعة كلها، فيما نرى ان هذه الجماعة تشترك عادة في اشياء مشتركة كالمأكل والمشرب وتبادل النكات والاحاديث ذات الصفة الحياتية العامة، وقد ينحدر مستوى هذه النكات الى ما يتعلق بمسائل الجنس مثلاً، وهذا يعني ان الجماعة في هذه المثال تجد لنفسها ميداناً يجمع بينها وهو الميدان الغريزي، وهو ما نقصد به من ان عقلية الجماعة اقل عادة من عقلية الافراد الذين تتكون منهم، وهو ما يفسر لنا صفة الانطلاق في الجماعات، فالنشاط المشترك في المستوى الغريزي يتصف بالانطلاق وعدم التقيد خاصة اذا انعدم الشعور الفردي بالمسؤولية وارتفع مستوى الشعور بالقوة الفردية.

يستثنى من هذه الحالة المجموعات الانسانية المتجانسة والمتفقة، فاذا افترضنا ان جماعة من المهندسين او السياسيين او الفقهاء اجتمعت في مكان واحد، فانه يمكن ان ترتفع عقلية

الجماعة الى مستوى اكبر من مستوى عقلية الفرد منهم، وهذا ينشأ من كون الجميع يشترك في الاهتمام بموضوعات واحدة تتصف بالجدية والرقي، كما ينشأ من حرص كل فرد على ان يبرز ويتفوق على الآخرين في ميدانه.

ونلاحظ علاوة على ما تقدم من خصائص تصرف الجماعة، ميلها الى التجانس، الامر الذي يؤدي الى تضامنها ووحدتها، واكتمال وحدتها يؤدي الى الشعور الجمعي الذي يعزز انتماء الفرد للجماعة ومشاركته لهم في الفكر والوجدان والسلوك، وهو مايصطلح عليه بالوعي الوطني او الديني او الرأي العام.

غير اننا وفي الوقت نفسه نجد ميلاً عند الافراد الى التمايز ضمن الجماعات، تدفع الى ذلك غريزتا السيطرة والخضوع، فالميل الى السيطرة يؤدي الى بروز ميل بعضهم لتوجيه الجماعة نفسها، مما يستلزم خضوع الباقيين واستسلامهم للتوجيه. وقد يحدث تنافس على زعامة الجماعة بين الافراد المميزين يؤدي الى عدم استقرار في شكل الجماعة، وهذه الخاصية تشمل الجماعات غير الثابتة او المستقرة كجماعة في احد المجالس، حيث نجد احدهم يميل الى السيطرة على المجلس بحديثه، فيما نجد شخصاً آخر لا يطيق الامر فيقحم نفسه وقد ينجح في احتلال مركز السيطرة على المجلس.

والخلاصة ان الجماعات تميل الى التجانس والتمايز في الوقت نفسه، وهي ليست مجموعاً عددياً من الافراد، بل لها خصائص مميزة لا نجدها في الذين تتكون منهم.

أسس تكوين الأمم والشعوب

الامة في هيئتها الاولى المعروفة منذ اقدم عصور التاريخ، مجموعة من الناس تقطن مساحة من الارض تتوفر فيها ضرورات الحياة البشرية من طعام وشراب وماوى وبعد عن المخاطر المتوقعة، ولهذا نشأت اغلب الامم والشعوب في مناطق وديان الانهار وبالقرب من سواحل البحار وفي سفوح الجبال.

وفي الغالب تتصف الارض بموقعها المحدود بين جبلين او بين جبل وبحر او تحيط بها المياه من جهات عديدة او غير ذلك من انواع التضاريس الجغرافية، المؤدية الى حصر تلك البقعة وفصلها عما يجاورها من اراض اخرى.

هذا الحصر والفصل ادى الى تجمع الجماعات البشرية في مكان معين، والذي يعد علامة استقرار لها، الامر الذي يؤدي الى الحفاظ على كيانها ووجودها ويجنبها الذوبان والتلاشي، وعلى سبيل المثال ظلت الفئات اليهودية المشتتة في العالم تعمل عبر مئات السنين من اجل الحصول على قطعة ارض تستطيع عبرها اقامة كيان جامع لها يبرز سياستها واهدافها في الحياة بعيداً عن الذوبان في المجتمعات الاخرى.

ومن العوامل التي تساعد على الاتصال بين افراد الامة او الجماعة، التضاريس الجغرافية الملائمة، فوجود الانهار وانبساط

الارض هو العامل الذي يوفر طرق المواصلات بانواعها، وفي العصر الحديث تعد وسائل النقل المتطورة واساليب الاتصال العالمية وسائل مقربة بين الامم والشعوب المختلفة وليس بين الامة الواحدة فقط.

ومن العوامل الاخرى المساعدة في تكوين الامم والشعوب، القرب والتشابه والالفة، فقرب الناس بعضهم من بعض يزيد ما بينهم من روابط وعلاقات، والتشابه في التكوين الجسمي ولون البشرة ولغة التفاهم وما الى ذلك، يجعلهم اكثر تجانسا.

وبادخال الانسان عنصر التنظيم في كيان المجموعات التي تتصف بمجموع الصفات التي اشرنا اليها من اتصال وحصر وتشابه، تزداد العلاقات بين الافراد متانة، الامر الذي يؤدي الى زيادة التجانس والتشابه في الخبرة والثقافة فتكون منها مجموعة بشرية ترتبط بمنظومة علاقات اجتماعية تدرج تحت العناوين الاتية:

1 - العلاقات القانونية: ونعني بها مجموعة القواعد الموضوعية لتنظيم الواجبات والحقوق داخل المجتمع من اجل تحقيق واشباع الحاجات الحياتية الاساسية في مختلف جوانبها، كتنظيم قانون للملكية والاجور لضمان الحقوق وتنظيم العلاقات الاقتصادية، وكذلك تنظيم علاقات الافراد بالاسرة وحاجاتهم الاساسية كالتعليم والسكن والصحة وما الى ذلك، وهو ما يحتاج الى وضع تشريعات وقوانين توضح ذلك، ثم توضع اساليب معلومة لضمان تنفيذها، وتختلف الشعوب في

مقدرتها على وضع التشريعات واساليب تنفيذها تبعا لمستواها الحضاري.

2 - العلاقات الاخلاقية: وتشمل الاداب العامة التي يخضع بعضها للقانون ويخضع بعضها للعرف السائد، والتي تشكل بمجموعها الذوق العام للامة، وهو مما تتفاوت فيه المجتمعات تبعا لانماطها الحضارية المختلفة.

- التقاليد: ويدخل فيها ما يشترك فيه كل افراد الامة تقريبا اشتراكا يبقى على مر الزمن، ويشعر الجماعة او الامة بالوحدة والتقارب، وبما يميزها عن غيرها. كالاحتفال بالمواسم والاعياد. وهناك ما يشبه التقاليد ولكنه يظهر ويختفي سريعا كالتغير في الازياء واساليب البناء وما الى ذلك مما يلون افكار الناس بصورة مؤقتة لا تلبث ان تزول بعد مدة قصيرة.

الزعامة.. خصائصها ووظيفتها

تتميز الجماعات بانقسامها الى فئتين، فئة قائدة واخرى تابعة، وتتولى الفئة القائدة عملية توجيه الجماعة وتنظيم طاقاتها وتصرفها، ولكي تتحول الجماعات الى جماعة موجهة فانها تحتاج الى قائد يتولى توجيهها، فاذا وقع في مجتمع من المجتمعات او جماعة من جماعات المجتمع شيء من الاضطراب تبرز الحاجة الى زعيم قوي يصلح شأنها، وينسق جهودها لتحقيق الاصلاح او التغيير المطلوب. والزعامة ضرورية لاية جماعة ترغب ان يكون لها كيان، فللعشائر زعمائها وللحزاب والحركات قادتها، والشعوب منذ القدم كانت تختار لنفسها ملكا او رئيسا لتنظيم جهودها وتوجيهها نحو اهدافها.

ويلاحظ ان الاهداف التي يراد تحقيقها قد لا تكون واضحة في ذهن جميع الافراد، غير اننا نجدها واضحة ومركزة في ذهن الاقلية الموجهة، وهذه الاقلية يختار منها زعيم تتركز فيه فكرة الهدف تركزا قويا وتتركز فيه الخطط التي يحتمل نجاحها في تحقيق الاهداف، وقد تكون الخطة حربا او دعاية لفكرة او نشر لمفاهيم او مباشرة بمشروع ما. ويؤمن القائد ومساعدوه ايمانا شديدا بهذه الخطط والاهداف، وازاء هذا الايمان تجده قد يقوم بتضحيات شخصية بالغة لتحقيق ما يؤمن به.

وعلاوة على ما مر يجب ان يتصف الزعيم بالخصائص الاربعة

الآتية:

1 - التميز والتفوق: فالقائد يمتاز بمؤهلات عقلية وخلقية فائقة، وبقدرة كبيرة على التأثير والتوجيه، ويجب ان يتحلى بذكاء فريد وبصيرة نافذة، وخلق عال وامكانية على تحريك تابعيه، وهو الى ذلك يحتاج الى الاعتماد على نفسه في وضع الخطط ومتابعة تنفيذها، ولا يشترط ان يباشر ذلك بنفسه او ان يقوم بكل ذلك، ولكن ان تكون لديه قدرة على ذلك، فهو مما يسهل مهمته في توجيه انصاره. ويجب ان يتميز بالاعتزاز بالذات، هذه الخصائص تتناول جوهر الشخصية وليس فيها بالطبع الصفات السطحية القليلة القيمة.

ولكي ندرك معنى ذلك فان بعض من يقف في مواقع القيادة قد يكون في ذاته ضعيف الشخصية، ولكن وبناء على احتلاله لموقع القيادة نتيجة لظروف معينة قد يبرز بمظهر لا صلة له بحقيقة شخصيته، ومثل هذه القيادة تدعى بالقيادة المصطنعة مقارنة بالحقيقية. فقد تنتخب العشيرة مثلاً رئيساً لها لانه صاحب ثروة او ينتمي الى اسرة عريقة او غير ذلك من الصفات التي لا تمنحه تميزاً عقلياً او خلقياً او قدرة على التأثير. وكلما ازداد وعي مجتمع ما، كان اختياره لقادته على اسس التفاضل الصحيحة، التي تختلف من امة لاخرى، ومن عصر لاخر، فالجماعات البدائية مثلاً تختار زعيمها من ذوي البناء الجسمي الكبير والحناجر القوية والعضلات المفتولة وغيرها مما تحتاجه من صفات تستدعيها حياتهم.

2 - قوة الارادة وعدم التردد: ونقصد بقوة الارادة وصفاً عاماً لموقف الشخص ازاء ما يتخذه من احكام وقرارات في مواقف حرجة، الامر الذي يستدعي من الزعيم ايمانا بنفسه وقناعة باهدافه وايماناً بجماهيره، بحيث يتوقع لنفسه ومخططة النجاح، ويتوقف قدر كبير من هذه الصفة على كثير مما مر معنا من صفات وخصائص التميز، ولكن اهم ما في صفة قوة الارادة الثقة بالنفس والقناعة التامة بصواب اتجاهاتها، وهو ما ينعكس على انصاره ومؤيديه.

3 - تمثيل فكرة المجتمع او الجماعة: فالزعيم الحق يمثل افكار تابعيه كي يروا فيه آمالهم وغاياتهم لكي يسيروا خلفه طائعين، وبعبارة ثانية لا بد من تجاوب واضح بين الزعيم وتابعيه وقد يعترض بعضهم على ذلك اذا رأوا فيه ركوداً للجماعة، ولكن الركود انما يكون نتيجة الرضا بالواقع وليس بالثورة عليه، فالمجتمعات عادة تسعى للرقى ووظيفة الزعيم ان ينهض بها الى ما ترنو اليه من نمو وتغير باتجاه الافضل.

فالزعيم يستفيد مما يحيط به من اراء ومشاعر عامة ثم يحاول تمثيلها في نفسه ويوظفها لمصلحة المجتمع الذي يقوده الذي يتلمس خصائصه من خلال ما يعرف بالرأي العام، فالعلاقة بين الزعيم والرأي الجماهيري العام علاقة بين طرفين يؤثر ويتأثر بعضهما في بعض.

4 - التضحية الكاملة: فلكل زعيم صلاته ومصالحه الشخصية كصلاته بافراد اسرته وابناء بلده وطائفته، ولكن الذي ينتظره الناس

من الزعيم ان يجعل كل ذلك في المرتبة الاخيرة من الاهمية ويقدم مصالح الجماعة والمجتمع عليها، فزعيم الشعب لا يكون موفقاً الا اذا تساوت امامه كل الاعتبارات وقدم عليها اعتبار المصلحة العامة، وهو ما نعنيه بالتضحية. فالزعماء الدينيون والعلماء والقادة الوطنيون يذهبون الى ابعد حد في التضحية بالنفس من اجل تحقيق الاهداف العامة، وبالتضحية الكاملة يكمن سر نجاحهم والتفاف الناس حولهم ومن ثم نجاح مخططاتهم.

التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع

ليس الانسان كائناً منعزلاً عمن حوله من افراد المجتمع، اذ ان كل فرد ينشأ منذ ولادته في اسرة، اي في مجتمع صغير يتفاعل معه، وان نمو ذاته و شعوره بها ينجم من تفاعله مع البيئة المحيطة به بوجه عام، ومع من يتعامل معهم من اناس بوجه خاص، وان نمو خلقه لا يمكن ان يتم ويحدد اتجاهه الا بتفاعل مع المجتمع. وليس من المتاح دراسة نفسية الفرد دراسة وافية الا من خلال علاقته في مراحل نموه المختلفة مع والديه واخوته ورفاقه وغيرهم، ففكرة الفرد اصبحت فكرة نظرية مجردة لا تدل على الواقع، فاذا وجد الفرد فهناك جماعة او جماعات ينتمي اليها، واذا وجدت الجماعة فانها تتكون من افراد، فحينما نرى جندياً في الطريق ندرك بداهة ان هناك جيشاً ينتمي اليه هذا الجندي، واذا ما التقينا طالباً ندرك ان هناك مدرسة او مجموعة من طلاب يجتمعون للدراسة.

من هنا لابد من التعرف على العلاقة بين الفرد والمجتمع والتأثير المتبادل بينهما، ولكن قبل ذلك لابد من الحديث عن ايهما يكون اهم لكيان الاخر؟ فبعضهم يرى ان للفرد اهميته السابقة على اهمية المجتمع اذ لولاه لما وجد المجتمع، ويترتب على هذه الفكرة اعطاء الفرد اهمية تفوق اهمية المجتمع، فتعطى

له من الحقوق اكثر من المجتمع مما قد يؤدي الى الفوضى .
فيما يرى بعضهم الاخر بان للفرد قيمة ثانوية بالنسبة لقيمة المجتمع وان قيمة الفرد تشتق من قيمة المجتمع، فالفرد يشعر بقوته ان كان ينتمي لمجتمع قوي، ويشعر بتفاهته ان كان ينتمي الى مجتمع تافه . وقد ادى التطرف في الاخذ بنظرية تقديم المجتمع على الفرد الى شيوع النظم الاجتماعية الاستبدادية، فالنازية تضع المجتمع الالمانى اولاً وليس للالمانى في ذاته اية قيمة، فهو يشق سمعته وكرامته من سمعة العنصرية الالمانية وقد اخضع النظام النازي الجمعي افراد الشعب الالمانى اخضاعاً افقد كل فرد فيه قيمته الذاتية وشخصيته الفردية .

ويرى فريق ثالث تساوي اهمية الفرد والمجتمع، فالمجتمع يتكون من افراد والفرد يكتسب اهميته والجزء الكبير من كيانه عبر انتمائه للمجتمع، وهذا هو اساس فكرة النظم القائمة في المجتمعات الديمقراطية السائدة في الغرب مع ملاحظة التساهل والانحياز الى جانب الفردية بشكل ملحوظ . وعلى كل حال فالصلة بين الفرد والمجتمع تشبه الى حد ما جدل بيزنطة فكلا طرفي القضية لازم لوجود الاخر، وليس من السهل معرفة ايهما الزم لوجود الاخر .

التفاعل النفسي الاجتماعي

يكفي لظهور التفاعل النفسي الاجتماعي مجرد الاتصال بين شخصين، ومن اجل ان نرسم صورة لذلك نفرض ان هناك شخصين ((أ، ب)) اجتمعا في مكان واحد فهناك شخصية ((أ))

كما يراها ((ب))، وشخصية ((أ)) كما يجب ان يراها ((ب))،
 وشخصية ((أ)) كما يرى نفسه راهناً، وشخصية ((أ)) كما يجب
 ان يرى نفسه طموحاً، وهناك كذلك شخصية ((أ)) كما يجب ان
 يبدو امام ((ب))، وهناك شخصية ((أ)) الحقيقية.

كذلك شخصية ((ب)) لها من الاوضاع في هذا الموقف
 الحالات الست نفسها التي ذكرناها لشخصية ((أ))، وهذا يعني ان
 اتصال شخصيتين يحتمل معه ظهور اثني عشرة شخصية، ويحتمل
 معه ظهور ست وثلاثين حالة من المواقف.

ولتوضيح المسألة نرمز للشخصية ((أ)) كما يراها ((ب))
 بالرمز ((أب))، ولشخصية ((ب)) كما يراها بالرمز ((بأ))،
 ولشخصية ((أ)) كما يجب ان يراها ((ب)) بالرمز ((أبج))،
 ولشخصية ((أ)) الحقيقية بالرمز ((أأ))، ولشخصية ((أ)) كما يحب
 ان يرى نفسه بالرمز ((أأج))، ولشخصية ((أ)) كما يجب ان يبدو
 امام ((ب)) بالرمز ((أج ب))، وبهذا يمكننا كتابة الشخصيات
 الاثني عشرة على الصورة الآتية:

أب، أب ج، أأ، أأج، أج ب، أ،

ب أ، ب أج، ب ب، ب ب ج، ب ج أ، ب.

ولذلك فان ((أأ)) الحقيقي قد يكون متوسط الذكاء، وقد
 يكون ((أب)) اقل من المتوسط، واما ((أبج)) فانه قد يكون
 غيباً، واما ((أأ)) فقد يكون فوق المتوسط، واما ((أأج)) فقد يكون
 ذكياً جداً، واما ((أج ب)) فقد يكون عبقرياً، والشخصيتان (أب) كما

تتعاملان معاً لا تمثلان في العادة (أ، ب) الحقيقيتين وانما تمثلان شخصين معدلتين حسب الصور التي بينها.

وفي كل موقف يحتمل ان تجتمع صورة شخصية من المجموعة الاولى مع اخرى من المجموعة الثانية، وان مجموع الحالات لجميع هذه المواقف لا تزيد على ست وثلاثين حالة، وهو ما يوضح بعض عجائب العلاقات النفسية الاجتماعية وتعقيداتها، وبخاصة اذا زاد عدد المجتمعين عن اثنين، فان الارقام السابقة سترتفع بحجم اكبر، فالعلاقات الاجتماعية النفسية ليست مجموعاً حسابياً بسيطاً لنفسية الافراد وانما هي مجموعة من العلاقات المتداخلة والمعقدة، الشديدة المرونة والسريعة التغير.

من اجل ذلك نجد ان الجماعات المتفاهمة في ظروف معينة يعترى علاقاتها نوع من التبدل يتفاوت في الضعف او الشدة، تبعاً لاختلاف تلك الظروف وتباين ادراكها وفهمها من الجماعة نفسها ازاء بعضهم ببعض.

الفصل الثالث

مقالات في الاسرة

دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية لأفرادها

قال الرسول الاكرم (ص) (اكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم).
توصف عملية تشكيل معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكه في الحياة بعملية التنشئة الاجتماعية، حيث تتوافق اتجاهات الفرد وانماط سلوكه وما يعتقده مع تلك التي يعدها المجتمع معايير مرغوبة ومستحسنة في الراهن والمستقبل.
وتبدأ عملية التنشئة الاجتماعية منذ اللحظة التي يطل فيها الانسان على الحياة ويستقبلها ويكتسب عبرها مهاراته الى جانب قيمه ومثله ومعايير وانماط سلوكه.

وتؤدي كثير من الجماعات والمؤسسات دورا رئيسيا في عملية التنشئة الاجتماعية، فالاباء والامهات والاخوة والاخوات والاصدقاء والمعلمون يساهمون في نقل القيم وتوجيه السلوك وتعديله، ومن المهم جدا ان نتعرف على الوسائل التي تستعمل في تعديل السلوك والاتجاهات والميول.

كما ان مؤسسات اجتماعية اخرى كالمسجد والجمعيات الدينية والمنظمات القانونية تهتم بهذه العملية حيث تنقل مظاهر الثقافة والاخلاق الاجتماعية وتعمل على ابقاء السلوك المقبول خلقيا وقيما لدى الافراد.

وعبر هذه العملية لابد للافراد من تعلم القواعد الخاصة

بالمجتمع، وتتضمن اتجاهات التنشئة الاجتماعية نوعاً من التضحية أو تأجيل اللذة والمتعة وقبول المعايير الاجتماعية ومراعاة سعادة ورفاه الآخرين مقابل الرغبات الذاتية التي تلح على الفرد لأشباعها. وقد تتباين مؤسسات التنشئة الاجتماعية في عملها التطبيعي من حيث الأدوار، إلا أنها تشترك جميعاً في تشكيل قيم الطفل ومعتقداته وسلوكه، بحيث يتجه نحو النمط المرغوب فيه دينياً وخلقياً واجتماعياً. وتتبع هذه المؤسسات قواعد وقوانين تفرضها عن طريق فرض العقاب على المخالفين ومنح الثواب للمؤيدين والمستجيبين.

وتمارس جماعات التنشئة الاجتماعية أنماطاً من السلوك يستطيع أن يكتسبها الفرد من خلال التعليم عن طريق الملاحظة والمتابعة، حيث توفر هذه الجماعات الأرضية المناسبة لممارسة المهارات المرغوبة اجتماعياً، إذ تعمل هذه الجماعات من أجل النمو الخلقي للفرد وتنمية قدرته الذاتية على الضبط والتحكم في تصرفاته وقمع الحالات العدوانية في ذاته، وتشجع في الوقت نفسه السلوك المرغوب فيه والملائم بغض النظر عن جنس الفرد ذكراً كان أم أنثى.

وعملية التنشئة الاجتماعية لا تعدّ عملية سلبية يستلم فيها الطفل أنماط السلوك من الكبار فقط ويتقبلها، إنما هي عملية متبادلة، يمارس من خلالها أعضاء الأسرة وظائف معقدة ومتداخلة بحيث يؤثر كل عضو من أعضائها في وظائفها كما يتأثر كل عضو بوظائف الأسرة ككل.

وتختلف اساليب التنشئة الاجتماعية من مجتمع لآخر، ومن عصر لآخر، وتختلف داخل المجتمع الواحد باختلاف الطبقات والظروف الاجتماعية. ومع ذلك فالآباء يعملون بمثابة المصفاة التي تنقي مجموعة القيم قبل نقلها الى الطفل كما يمثلون نماذجاً او مثلاً عليا لاطفالهم يعتدون بها ويقلدونهم.

ومن هنا كانت اهمية تربية الآباء انفسهم، وحسن اعدادهم وتكوينهم وتزويدهم بالعلم والمعرفة والايمان والعقيدة والتسلح بتعاليم واحكام الدين الحنيف، وهناك عدة اساليب يتبعها الآباء في تنشئة اولادهم، منها اسلوب الدفء في العلاقات معهم والحب مع الضبط والسيطرة، واسلوب التسامح، واسلوب الانضباط .

وقد تبين ان الآباء الذين يتبعون الاسلوب الاول ويستعملون منهجاً معتدلاً في تقييد سلوك الطفل ويتبعون نظاماً ثابتاً في تربيتهم ينشأ ابناؤهم قادرين على اظهار وممارسة كثير من اوجه السلوك المرغوب فيها. من ذلك التكيف والملاءمة والمرونة واحترام الذات والكفاءة او المقدرة والضبط الذاتي والشعبية بالنسبة لزملائهم، ويتضمن منهج الحب هذا والتأديب القائم على الحب أنشطة مثل الحوار والاستدلال والتعقل والتفكير والاقناع وتعتمد حرمان الطفل من الحب لبعض الوقت في المواقف التي تستدعي ذلك، فالاطفال يميلون الى تقليد الكثير من سلوك آبائهم ومما يساعدهم في ذلك حنان وحب آبائهم لهم وسيطرتهم عن طريق التمسك بزمانيات امور الاطفال دون تعسف او قسوة.

يقول الامام الباقر (ع) بهذا الصدد: (شر الآباء من دعاه البر

الى الافراط)، وقال الامام على(ع) وهو يصف الانسان وردود
افعاله السلوكية تبعا لتصرف الآخرين ازاءه: (كل تقصير به مضر
وكل افراط له مفسد).

دور الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية

مع تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعنا وازدياد معدلات مزاولة النساء للعمل، وخروجهن من البيت، ازدادت أهمية تأثير الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد، وبخاصة مع زيادة احتمال التعلم فيها قبل المدرسة، واصطلاح الرفاق يشير الى مجموعة الاطفال الذين يماثلون الطفل في المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي وفي صفات اخرى مهمة كالسن.

وظهر حديثا اتجاه مؤداه انه يمكن تصنيف الاطفال في جماعة رفاق معينة على اساس من تفاعلهم على المستوى السلوكي نفسه من التعقيد اكثر من تصنيفهم على اساس عامل السن، كون السلوك يتوقف على مستوى النضج اكثر مما يتوقف على مستوى العمر الزمني، ولذا نجد ان بعض الاطفال المتقدمين في السن يلعبون مع آخرين اصغر منهم سنا.

وبطبيعة الحال فان علاقة الطفل باسرته تختلف عن علاقته بجماعة الرفاق، حيث تتسم علاقته بالوالدين بالكثافة والديمومة والاستمرار اكثر من علاقته بالرفاق.

ويبدي الطفل بعض مظاهر المشاركة الوجدانية مع غيره من الاطفال منذ سن مبكرة جدا، وقد تبدأ في عامه الاول حيث يلاحظ غيره من الاطفال، فيقلد سلوكهم. ويزداد تأثير الرفاق في سن ما

قبل المدرسة، حيث يطرأ على سلوك اللعب عند الطفل تغير ظاهر هو الانتقال من اللعب الانفرادي الى اللعب الجماعي ويلاحظ ان هناك تفضيلا للعب الطفل مع الرفاق (الارتاب) عن اللعب مع الكبار.

وتحقق العلاقة مع مجموعة الرفاق كثيرا من الاهداف من بينها تعلم الطفل كيفية اللعب وفقا لقواعد المباريات الاجتماعية وآدابها. وتساعد في تزويد الطفل بالمعلومات والحقائق الضرورية لحياته مع الآخرين وتقدم للطفل التعزيزات او المكافآت على سلوكه المقبول، وتوفر له المثل الاعلى او الانموذج الامثل الذي يقتدي به كما تقدم له معايير المقارنة الاجتماعية، وتوفر له فرصا جيدة للتقليد والتقمص.

واذا كان لمجموعة الرفاق كل هذه الاهمية فما الذي يؤدي الى تمتع بعض الاطفال بالشعبية والمحبة في وسط جماعته المقاربين له في السن ومستوى النضج؟

في الحقيقة ليست هناك صفة واحدة او ميزة معينة بالذات تؤهل الطفل او المراهق لكي يكون محبوب المجموعة او رئيسها، ذلك لأن اطفال كل شريحة او طبقة اجتماعية يقدرّون نوعا خاصا من الصفات ويحبونها في رفقاء اللعب او العمل.

فالسلك العدواني مثلا قد يقود الى الشعبية والمكانة بين ابناء الطبقات الاجتماعية الدنيا بينما هذا السلوك نفسه يقود الى النبذ والطرد بين ابناء الطبقة الوسطى، ولقد وجد ان اسماء الاطفال وسماتهم وقدراتهم الجسمية وجاذبيتهم ترتبط بقبول الرفاق.

فالذكور اصحاب الاجسام ذات العضلات يتمتعون بشعبية اكبر من الاطفال النحيفي الجسم، بينما لم تكن معدلات النضج عند الشباب ترتبط بالشعبية والتمتع بالمكانة الاجتماعية، كما وجد ان الاطفال الجذابين جسميا مقبولون اكثر من قبل الاطفال الاخرين، ولقد بدا على هؤلاء الاطفال انهم يتصرفون بصورة اكثر كفاءة من الناحية الاجتماعية لو قورنوا بغيرهم.

اما الظروف التي تؤدي الى الارتقاء في تكوين الجماعة وزيارة تماسكها وتحسن ادائها، من اجل تحقيق الاهداف المشتركة والكبيرة. فقد وجد الباحثون ان المنافسة داخل الجماعات تؤدي الى تماسك الجماعة وزيادة تلاحمها، غير انها قد تزيد حدة الصراع والمنافسة بين الجماعات، ولكن حينما تعمل الجماعات المتنافسة لتحقيق اهداف مشتركة، فأن معدلات العداوة والتنافس المحضور تنخفض، ولقد وجد ان التنظيم الهرمي يظهر مبكرا بين الجماعات كما تظهر الادوار وتحدد لكل عضو، فأما ان يتجه الطفل نحو القيادة او يتجه صوب الانصياع لغيره.

ومن الاهمية بمكان ان نتعرف على العوامل التي تساعد على امثال الطفل للجماعة التي ينتمي اليها وينسجم معها، فمن بين هذه العوامل سن الطفل حيث لا يخضع جميع الاطفال من ذوي الاعداد المختلفة بالدرجة نفسها للجماعة فقد وجد انه في المواقف الغامضة يتمثل الرفاق اوامر الجماعة اكثر كلما تقدموا في اعمارهم، ولكن تأثير الجماعة ينخفض على المتقدمين في السن في المواقف التي يعرف الطفل الاستجابة الصحيحة بشكل

جيد، ولجنس الطفل ومكانته دور في عملية الامتثال والاطفال
يتأثرون غالبا بالافراد اصحاب المكانة الاجتماعية المرموقة او
العالية.

حاجة الأبناء، الم حب والديهم

التجارب التربوية اثبتت ان عواطف الوالدين الايجابية ازاء ابنائهم تترك اثرا حسنا وفعالا في توجيه واستقامة سيرتهم، في مختلف مراحل حياتهم، والاطفال الذين لا يرتوون من حب وحنان الوالدين ينشئون في الغالب نشأة مشوهة غير متوازنة، يستشعرون من خلالها النقص والحرمان والدونية، الامر الذي ينعكس على تصرفاتهم السلوكية وعلاقاتهم مع الآخرين، فهم لا يستطيعون منح الآخرين المحبة والعواطف لإنهم كانوا قد حرموا منها في مراحل كانت لنفوسهم حاجة اساسية وحياتية لها، وبالتالي فإن المجتمع البشري سيحرم بدوره من ينبوع اصيل للعواطف هو بحاجة دائمة لها.

والاسلام العظيم اكد في تعليماته الاخلاقية ضرورة الانتباه على هذه الناحية من حياة الاطفال وشدد على الآباء اهمية الالتفات الى ذلك، لئلا ينشأ اطفالهم وهم يعانون من اثار الجفاف العاطفي ونقص الحب.

والمؤكد ان من يرتوي عاطفيا في صغره يكون اقدر من غيره في مراحل عمره المتقدمة من التغلب على المشكلات التي تصادفه، واقدر على التقدم في مجالات الحياة المختلفة.

وقد ثبت ان مخ الانسان مؤلف من مليارات الخلايا العصبية

التي باستطاعتها ان تعمل ولكن عددا قليلا من هذه الخلايا تبشر عملها عند ولادة الانسان، وتبقى اعداد كبيرة منها تنتظر ايدي المربين وتوجيهاتهم لتبشر عملها بفاعلية، والطفل الذي تتوفر له اجواء تربوية ملائمة ويحاط بعواطف ايجابية من قبل والديه ومربيه يكون اقدر من غيره على تحريك هذه الخلايا والافادة منها، كما انه سيكون اكثر من غيره حظا في حياة سعيدة بعيدة عن المشكلات والمعوقات وارتكاب الجرائم.

لقد لفت الرسول الكريم (ص) عناية الآباء الى الجانب العاطفي في حياة اطفالهم من اجل توفير جو سليم لنمو عاطفي متوازن لشخصياتهم، يبعدهم عن الاحساس بالحقارة وانعدام الذات، واوصى باليتامى خيرا لانهم فقدوا مصدر الحنان الاصيل في والديهم بفقدانهم، فاراد من افراد المجتمع تعويض ذلك من خلال سلوكياتهم وتصرفاتهم معهم، كما نهى الامام علي (ع) المؤمنين من اللجوء الى الضرب او التعامل بقسوة مع الاطفال عند ارتكابهم خطأ ما، واكد على التعامل معهم باخلاق انسانية، يقول (ع) بهذا الصدد: (لاتضربه واهجره ولا تطل) وامر الآباء ان يكونوا اوسع افقا في طريقة تربية ابنائهم حيث نهاهم عن حمل اولادهم على اتباع عادات زمانهم وسلوكياتهم لانهم يتطلعون الى زمان غير زمان الآباء بقوله: (لاتقسروا اولادكم على عاداتكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم).

فالتعامل القاسي الخالي من الحب يورث في نفوس الاطفال العناد ويحملهم على التجرأ والعدوان، فضلا عما يختزنون في

نفوسهم من حقد وافكار سوداوية تبحث عن فرصة للتشفي، فخير علاقة بين الآباء وابنائهم ما كان قائما على الاحترام المتبادل والرحمة والايجابية في كل الامور، فبالعواطف الايجابية والمنطق والحوار السليم يمكن تذليل الكثير من الممشاكل والعوائق.

ومما يؤسف عليه ان كثيراً من الآباء وبسبب الميراث التربوي السقيم الذي ورثوه من الاجيال السالفة يعاملون اولادهم بفضاضة وقسوة، ويتوخون حل اعقد المشكلات بالعنف والتانيب المستمر والعقاب الصارم، وقد احتلت هذه الاساليب المرفوضة موقعا حساسا في اوضاعنا التربوية السائدة واخذت في احيان كثيرة مبررات ومسوغات دينية.

حقوق الأبناء

أولت التربية الحديثة كما أولى الإسلام عناية فائقة بالطفل وعد الكثير من علماء التربية والمتخصصين بعلم النفس أن الأثر التربوي الذي يتركه الآباء والأمهات في أولادهم في سني الطفولة الأولى له من التأثير ما يعادل تأثيرات التربية خلال العمر كله، بل أن علماء نفس السلوك ذهبوا إلى أكثر من ذلك، فادعى بعضهم أنه يستطيع أن يحدد معالم شخصية الإنسان منذ السنة الثانية من عمره، وذهب آخرون إلى أن العلم في الصغر يثبت كما يثبت النقش على الحجر، فلا تستطيع العوامل الاجتماعية والظروف الحياتية اللاحقة محوها وتبديلها.

ويبدو أن السبب الأساس في أهمية الأدوار الأولى في توجيه حياة الإنسان المستقبلية متأتية من كون الأطفال ذوي نفوس مطواعة قادرة على التكيف والتقبل ضمن عوامل وظروف واتجاهات التربية في الأسرة.

من هنا تظهر أهمية دور الأم والاب كموجهين أساسيين في التأثير في سلوك الطفل، فإن هم أحسنوا معاملة الطفل في صغره نما كائنا متوازننا رصينا معتمدا على نفسه مشبعا بروح الاعتماد والثقة بالنفس، أما إذا مورست إزاءه ممارسات غير مسؤولة افراطا أو تفريطا نشأ أتكاليا مدللا أو متمردا عنيدا يؤثر اللجاجة والعدوان.

فاسلوب الوالدين وطريقة تعاملهما مع الطفل له الوقع الكبير على تفاعل الطفل مع محيطه ونمو مشاعره وأحاسيسه ازاء الافراد والاشياء والجماعات وطريقة تصرفه حيالهم. فالطفل كالعجينة المرنة التي يستطيع المربون ان يعملوا منها ما يشاؤون وفقا لتوجهاتهم، لذلك فان اي اساءة في التعامل معه تترك اثارها في مسيرته وشخصيته خلال عمره كله، كما ان الاحسان اليه وتقدير سلوكه الحسن تصنع منه انسانا مسؤولا وشخصية قادرة على العطاء والنفع لنفسه واسرته والمجتمع.

لذا نجد ان الرسول الاكرم يحث الالباء على الانتباه لطريقة التعامل مع اولادهم بقوله (اكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم). وليس هناك احسن من سيرة الآباء المتوازنة المسؤولة مع ابنائهم اثرا في تربيتهم من اي عامل آخر، لذا دعا لهم بالرحمة حين قال: (رحم الله عبدا اعان ولده على بره بالاحسان اليه والتألف له وتعليمه وتاديبه)، وحثهم على حب الاولاد والرافة بهم بقوله ((ص)) (احبوا الصبيان وارحموهم).

ملاحظات في التربية الاسرية

من الصعوبات التي قد يتعرض لها الاطفال في التربية الاسرية تضارب اتجاهات افراد الاسرة في تربية اطفالهم، ويحدث هذا التضارب اكثر عندما يتدخل بعض افراد العائلة الكبار كالجد والجددة في تبني طرق تربوية يعتقدونها صحيحة لان جيلهم اعتادها، وهي تتعارض مع ما يؤمن به الجيل اللاحق.

كما ان احساس الاباء بالفشل في تربية اطفالهم يخلق بدوره شعورا بالتوتر لدى الاباء انفسهم، الامر الذي يستدعي اطلاع الشباب قبل اقدامهم على الزواج وتكوين اسرة على حقائق عملية التربية واصول القواعد النفسية التي ينبغي مراعاتها عند تحمل مسؤولية الزواج او تربية الابناء وبما يساعدهم على تحمل اعباء التربية بكثير من الثقة والخبرة والدراية. فالحياة مليئة بالمشكلات التي تخلق الشعور بالقلق لدى الاباء، فمناقشة الابوين للمشكلات المالية امام اطفالهم مثلا يخلق عندهم شعورا بالقلق ولذلك يجب تفادي ذلك ما امكن، كذلك يجب ان يؤمن الاباء بان العلاقات الاسرية السعيدة والاتزان الانفعالي لدى الاباء والصدقة بين الابوين والانسجام والود وما شابه ذلك من الحالات والعوامل، لها اكبر الاثر في نشأة الاطفال نشأة مترنة وصحيحة.

ويؤدي الجو الاسري دورا مهما في تكيف الاطفال اذ ان علاقة الانسجام تؤدي الى خلق الظروف التي تساعد على تكيف الطفل، فأى صدام واختلاف يقع بين الابوين يدركه الطفل ويشعر به حتى وان وقع هذا الخلاف في غياب الطفل، فالجدال والمشاجرات تقضي على الشعور بالاتزان الانفعالي لديه، فيصبح غير ثابت في انفعالاته كما يميل الى الثورة والغضب لاسباب تافهة، فالهدوء يؤدي دورا اساسيا في تكيف الطفل الانفعالي ونضجه.

والاطفال يقلدون اباءهم في الكثير من مظاهر سلوكهم وتصرفاتهم، ولذلك، على الاباء تدريب انفسهم على التحكم الذاتي بتصرفاتهم، ففي المنزل يجب ان يتوفر الهدوء والسلام الشامل ولو لبعض الوقت، فاجهزة الراديو والتلفزيون وصياح الاطفال وصراخهم يجب ان يتوقف في مدد معينة توفيراً لراحة الاعصاب ويمكن للاسرة الاستعاضة عن ذلك ببعض النشاطات الهادئة مثل القراءة والكتابة او المحادثات او الالعاب العقلية.

ومن الامور المهمة في التربية الاسرية اتجاه الابوين نحو الامانة، اذ ان في ذلك اثرا على شخصية الطفل بما يلزم تقيد الاباء بالصدق امام ابنائهم، فلا يذكرون لهم الا الحقائق، ويتجنبون الكذب، الامر الذي يمكنهم من ممارسة سلطاتهم واشرافهم على الطفل. كما يؤدي الى ابتعاد الطفل عن الكذب تقليدا لوالديه، ويجب كذلك تجنب المبالغة لان الطفل سرعان ما ينساق اليها، ويجب تربية الطفل على النظام والترتيب والتنسيق

والطاعة، كاطاعة ابويه، وان يتعلم كبح جماح نفسه في بعض
المواقف، اذ ان في ذلك مساعدة للطفل في تقبل مواقف الاحباط
والكبت والحرمان التي سيواجهها في مستقبل حياته، فالحياة لا
تعطي للفرد كل ما يريد ومتى يريد.. ولكن يجب تحاشي توجيه
العقاب المستمر للطفل او المنع او الكبت المستمرين، وكذلك
توجيه الاوامر والنواهي او تكرار العقاب على خطأ واحد بعينه،
والاستمرار في توجيه اللوم والعقاب ومؤاخذة الطفل بصفة دائمة
مستمرة، لان الالاحاح واللجاجة تولد العناد، كما ورد ذلك في
حديث للامام علي (ع).

ومن المشكلات المهمة في الاسرة علاقة الابناء بعضهم
ببعض، ودور الاباء ازاء هذه العلاقة، اذ كثيرا ما يثير الاباء اسئلة
بشان ما ينبغي فعله اذا ما تشاجر ابناؤهم.

ففي مثل هذه المواقف يجب ان تترك الحرية للطفل كي يعبر
عن رد فعله الطبيعي نحو اخوته واخواته تعبيرا تلقائيا طبيعيا، دون
تدخل سريع من الاباء، الا اذا خرجت المسألة عن نطاق الضبط
والحدود المسموح بهما، فعندئذ يتدخل الاباء، ولا بد لهم من
توجيه اللوم للطفل المسيء او المخطيء ومقابلة الطفل الذي وقع
عليه العدوان بما يستدعي ارضائه، ويجب ان يتعلم الاباء كيف
يكونوا مستعدين للفهم والاستماع، وان يتركوا الفرصة كذلك
لابنائهم للتعبير عن ارائهم لتصريف انفعالاتهم الحادة والتخلص
من مشاعر الغضب والالام لئلا تتحول المشاعر المكبوتة الى حقد
مترسب.

ومن المبادئ التي تقوم عليها تربية الاطفال ضرورة الايمان بعدم وجود حرية مطلقة، فالحرية دائما في حدود القانون والنظام وفي حدود الضرورات الاجتماعية التي تفرضها الظروف الخارجية، ولا بد ان ينمو الابن وهو يؤمن بان امورا ضرورية يجب ان يقوم بها حتى وان لم يرغب بها كالذهاب للمدرسة للتعلم والالتزام بعمل ما وكسب مهارة عملية لتأمين متطلبات الحياة.

دور الأم في التربية

بات من المؤكد علميا بأن العادات السلوكية تتكون لدى الاطفال من سن الثانية حتى السادسة، وبعد هذا السن تصبح تربية الاطفال مهمة صعبة وعسيرة اذا لم تكن الاسرة قد عودتهم على الطاعة والنظام والتمسك بالعادات السلوكية الصحيحة، وفي هذه المرحلة يعبر الطفل تعبيراً صريحاً عن انفعالاته فنجد مثلاً يرفض تناول الطعام او يرفض التكلم وتظهر عليه علامات فقدان للشهية او اضطرابات صحية، لذا يعد المعنيون اشباع حاجات الطفل الاساسية مسألة مهمة في حمايته من الاضطراب، فالطفل بحاجة الى الطعام والدفء والحنان والحب والعطف والشعور بالامن والاستقرار، وبتقدمه في العمر تزداد قدرته على اشباع حاجته بنفسه دون الاستعانة بامه، غير ان حاجة الطفل الى امه لا تعادلها حاجة اخرى، وحين يضطر الطفل للانفصال عن امه لاي سبب من الاسباب يكون ذلك سبب للكثير من المشكلات بالنسبة اليه. لذلك لا بد للام الناجحة ان تكون ذات شخصية متزنة وناضجة نضجاً انفعالياً، بمعنى ألا تكون طفلية في عواطفها وسلوكها وألاً تكون متغيرة متذبذبة المزاج والانفعال، وتعرف اخطاءها معرفة موضوعية حقيقية بعيدة عن التحيز والمكابرة والمفاخرة، والام المثالية لا تسقط متاعبها على اطفالها بحيث تنسبها لهم وترى فيهم

مصدرا لكل اخطائها وعيوبها وواجه النقص في شخصيتها، ويجب ان تكون قادرة على خلق جو من الامان للطفل، ولا تطلب منه امورا فوق طاقته او مخالفة لميوله واهتماماته، وان تكون هادئة في مواجهة الصعاب وتعمل على تصحيح اخطاء ابنها، وتدفع اطفالها تدريجيا للاعتماد على انفسهم والتخلي عن مساعدتهم بحيث يتحقق الاستقلال النفسي والاجتماعي والاقتصادي عن الاسرة بصورة صحيحة، غير ان بعض الامهات يطلبن من اطفالهن الخضوع مطلقاً واطاعتهم طاعة عمياء كدليل على الحب، هذه الحالة تنم عن روح انانية واثرة وحب ذات مفرطة، وهي تعبير لاشعوري للام عن تملك الطفل واحتكاره، مثل هذه الام تخلق لدى الطفل الشعور بالخوف والقلق وتقتل فيه روح المبادرة والقدرة على اتخاذ القرارات الامر الذي يعطل نموه ويعوق نمجه النفسي والعقلي.

وهناك نوع من الامهات ذات نزعة دكتاتورية تسلطية يرغبن في فرض ارادتهن على افراد الاسرة، مثل هذا النوع من الامهات حرمن من وجود السند او الشعور بالحماية والتعزيد، وما الاسلوب التسلطي الذي يلجأن له الا وسيلة للتعويض عن الشعور بالنقص وعدم الامان، واطفال امثال هذه الامهات يتربون على الخوف والقلق وعدم الاتزان العاطفي والشعور بعدم الامان مما ينعكس سلبا عليهم.

وهناك نوع اخر من الامهات يتميزن بالترف حيث تريد احداهن ان تكون مثالية وتواقة الى الاعمال الصحيحة فهي ضحية ضميرها الحاد الراغب في تحقيق الكمال المطلق في كل شيء، فهي تطبق

القواعد الصحية والتربوية تطبيقاً حرفياً دون مرونة غير عابئة بما لدى الأطفال من ذوق واختلاف في القابليات والاستعدادات الفطرية والمكتسبة، فالقواعد التربوية يجب أن تحول وتعديل تبعاً لظروف كل طفل.

وهناك الأم غير الثابتة التي تغلب عليها العصبية وتعجز عن السيطرة على انفعالاتها وتفشل في اتباع نظام معين في تربية أطفالها، مثل هذه الأم لا تعد طعام طفلها إلا إذا سمعته يبكي، فليس لها خطة معدة سلفاً لأعداد طعام طفلها أو تلبية حاجاته الأساسية الأخرى كالنوم والراحة والتنظيف، وإن حدة مزاجها يجعلها سريعة الغضب وتزمتها ينعكس على الطفل فيبدو قلقاً غير شاعر بالأمان وقد يلجأ إلى العدوان.

وهناك الأم غير المبالية أو بليدة الإحساس، التي تشعر طفلها بأنه غير مقبول فهي تتحمل طفلها ولكنها لا تحبه حباً أصيلاً وهو يمتص بدوره من أمه اتجاه اللامبالاة وعدم الاهتمام، مما يهيئها للفشل في إقامة علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين وقد يسبب له التأخر الدراسي أو العقلي أو العزلة الاجتماعية وتكوين بعض المخاوف في حياته.

وهناك الأم القلقة التي يغلب عليها شعور توقع الشر في جميع الحالات، فهي تفترض أسوأ الاحتمالات بالنسبة لأطفالها، مما يخلق جواً من التوتر حولهم سرعان ما ينتقل إليهم، وهي تبعاً لذلك تمنعهم من ممارسة بعض النشاطات المفيدة خوفاً عليهم، الأمر الذي ينعكس على الأطفال بقبول تعليمات أمهم في آخر المطاف

ويرضون بالبقاء داخل البيت بعيدا عن حياة المجتمع وتكوين شخصية مستقلة وهو ما يؤدي الى الفشل في شؤون الحياة، او يؤدي ببعض الاولاد الى التمرد في مرحلة المراهقة والهروب من البيت كرد فعل على هذا السلوك.

الفصل الرابع

مقالات في الفرد

مراحل النمو الاجتماعي للفرد

تمر التنشئة الاجتماعية للفرد بثمان مراحل، افترضها علماء النفس، من خلال المعالجة النفسية للأفراد وبخاصة الاطفال والمراهقين، ومن طبقات اجتماعية مختلفة. وهذه المراحل مرتبطة بعمليات التعلم التي تحدث في المراحل المختلفة من عمر الفرد. ويعد (ايريكسون) من المتحمسين لهذا الراي وهو يعد كل مرحلة ازمة نفسية تتطلب الحل قبل الوصول الى المرحلة اللاحقة، ويمثل هذه المراحل بالطوابق المعمارية، فالتعليم المرضي وحل كل مشكلة يعاني منها ضروري اذا كان للطفل ان يمر بالمراحل اللاحقة بنجاح مثل اساس المنزل حيث يعد ضروريا بالنسبة للطابق الاول منه.

وهذه المراحل الثمان هي:

1 - تعلم الثقة مقابل عدمها: وتقابل هذه المرحلة مدة الرضاعة عند الفرد وتشمل العام الاول والثاني من عمره، فاذا تناولنا الطفل بالرعاية تناولنا حسنا وتمت رعايته وتغذيته بالحب، فاننا ننمي في نفسه الشعور بالثقة والامان والشعور الاساسي بالتفاؤل، واذا عومل معاملة سيئة فإنه يفقد ثقته بنفسه ويفقد الامان ايضا.

2 - تعلم الاستقلالية والشعور بقيمة الذات مقابل الاحساس بالخطأ او الشعور بالخجل او العار: اذ ان الازمة النفسية الثانية

تحدث لدى الطفل ما بين عامه الثاني والرابع، وهي المرحلة التي يحدث فيها اكثر مظاهر التعليم وضوحا وضبطا.

3 - تعلم المبادرة مقابل الشعور بالذنب: وهذه المرحلة تحدث في سنوات ما قبل المدرسة، وتبدأ قريبا من عمر ثلاث سنوات ونصف، وخلالها يتعلم الطفل الذي ينمو نموا صحيحا ان يتخيل وان يوسع مهاراته من خلال اللعب النشط بكل الانواع بما في ذلك اللعب الخيالي، كما يتعلم التعاون مع غيره وان يقود غيره كما ينقاد هو لغيره، اما اذا اعاقه الشعور بالذنب فانه يصبح ضائعا يقف دائما على هامش الجماعات يتردد في الاندماج معهم، ويستمر بالاعتماد على الكبار من دون حاجة الى ذلك، كما يعاق نموه في تعلم مهارات اللعب وفي الخيال.

4 - تعلم السعي والجدية في العمل مقابل الشعور بالنقص: ويحدث ذلك في المرحلة الابتدائية، وقد تمتد احيانا لتشمل بعض سنوات المرحلة الاعدادية وهنا يتعلم اتقان المهارات الاكثر رسمية والالزمة للحياة، كالتعامل مع الجماعة تبعا للقواعد الاجتماعية والانتقال من الالعاب الحرة الى اللعب المنتظم حيث يتطلب ذلك مشاركة فريق او جماعة وكذلك اتقان الدراسات الاجتماعية والقراءة .

5 - تشخيص هوية الفرد الشخصية في مقابل اضطرابات الهوية: وتحدث هذه الحالة في سن المراهقة، من حوالي 13-20 سنة، حيث يستطيع في هذه السن ان يجيب اجابة واضحة ومرضية عما يكون هو، غير ان احسن المراهقين تطبعا يعانون من بعض

الاضطرابات في الهوية وخاصة الذكور حيث يعانون من جنوح بسيط يظهر في شكل عصيان او تمرد او خجل، او شك، وهنا تنمو نظرة المراهق للزمن ويكتسب اليقين في مقابل الشك والحساسية المفرطة، فيقوم بادوار ايجابية في الغالب بدلا من اعتناق الهوية السلبية (كالجنوح) فيحاول المراهق الناجح ان يحصل على بعض الانجازات بدلا من الشك من جراء مشاعر النقص والدونية، وفي المراهقة المتأخرة يكتسب المراهق صفة الرجولة، وتكتسب المراهقة الانثى صفة المرأة الناضجة، او احيانا يسعى المراهق للقيادة وبالتدريج ينمي في نفسه نمطا من القيم والمثل المرغوبة، وغالبا ما يؤدي المراهق عدة ادوار مختلفة حتى يجد اكثرها ملاءمة له فيقع اختياره عليها.

6 - تعلم الصداقة الحميمة مقابل العزلة: فلأول مرة يشعر المراهق الناجح بالصداقة الحميمة والحقة، وضرورتها، والتي يمكن ان يقيم على اساسها الصداقة المستديمة.

7 - تعلم الانتاجية مقابل الاستغراق في الذات: اذ يتطلب النمو النفسي في مرحلة الشباب المبكرة تعلم الانتاج من خلال الزواج او الاضطلاع بدور الابوة او في العمل المهني والابداع فيه والابتكار في مجالات الحرف المختلفة.

8 - تعلم التكامل في الشخصية والنجاح فيها مقابل اليأس والقنوط: اذ ان الشاب الناضج يصل الى قمة التكيف الناجح او التكامل في شخصيته اذا استطاع ان يمر من الازمات السبع الماضية بنجاح، فهو بعد ذلك سيكون واثقا في نفسه، يشعر بالاستقلال،

ويعمل بجدية ويجد لنفسه دورا محددا واضحا في الحياة وينمي في نفسه مفهوما خاصا عن ذاته، يكون سعيدا من خلال احساسه به، ويصبح ودودا دون توتر او شعور بالذنب او الاسف على ما مضى ولا يتعد عن الروح الواقعية، ويشعر بالفخر بما يبتكر او ينتج، ويعتز بعمله او هواياته، اما اذا فشل في حل اي من الازمات السابقة فسيشعر باليأس لا محالة.

هذه المراحل ليست الا وصفا لفظيا لكيفية نمو الشخصية، والمهم هو تحديد الظروف البيئية التي تساعد على انماء هذه الصفات الايجابية وغيرها وتجريد العوامل المساعدة من اجل التكامل الافضل، لان التطبع الاجتماعي انما هو عملية تعلم وتحويل للكائن البشري من حالة الطفولة البشرية والاعتماد على غيره الى الاستقلال والاعتماد على الذات، ومن حالة الضعف والانانية الى حالة الرشد المثالي الذي يتأقلم فيه الفرد مع محيطه الواسع بعقلانية مقبولة.

انواع السلوك الفردي

عند الحديث عن انماط السلوك الفردي يمكن ان ندرج بشكل موجز اهم صفات انماط السلوك الفردي وكما يأتي:

1 - النوع الانطوائي المفكر: هذا النوع من الناس يصرف وقته في المسائل المعنوية دون المحسوسات وهو ميال الى الاعتكاف في برج عاجي يستنبط فكرة من اخرى، ويقضي الوقت في التأمل والتفكير غير مبال بالناس واعمالهم واقوالهم وتقاليدهم يرى في الاشياء معانيها ويغرق مفكراً فيها، وهو قليل الاهتمام بواقع الحياة ضعيف الادراك للعلاقات والمشاعر الانسانية، حياته الانفعالية شديدة الفتور تصل في كثير من الاحيان الى الخمود، ميال الى التمسك بفكرته والى اقحام افكاره على غيره ممن يتعامل معهم، وينتمي الى هذا النوع كثير من علماء الرياضيات الذين يعكفون على نظرياتهم ويعيشون بعيداً عن الناس يفكرون فيها وكذلك الفلاسفة الذين يتاملون المسائل العقلية والكونية.

2 - النوع الانبساطي المفكر: ويتصف صاحبه بالعملية والواقعية ويعتمد في افكاره واعماله على الحقائق والاحصائيات والتجارب ويميل الى توظيف نتائج ذلك في الحياة العملية وينتمي الى هذا النوع علماء الطبيعة والاحياء والكيمياء وكذلك علماء العلوم السياسية والاجتماعية.

3 - النوع الانطوائي الوجداني: ويختلف هذا الصنف عن صنف الانطوائي المفكر في كون حياته العقلية يغلب عليها الجانب الوجداني فيما يغلب على ذاك الجانب الفكري، ونجد النوع الانطوائي منطوياً على حالات وجدانية عنيقة اذ يحب احدهم بقوة ويكره بعنف ويحزن بشدة، وتجده مع هذا غير قادر على التعبير عن جوانب حياته الوجدانية لانه مقطوع الصلة بالناس، يميل الى الانعزال ليعيش فيها حياته الانفعالية بمختلف صورها، والنساء اقرب عادة الى هذا النوع من الرجال.

4 - النوع الانبساطي الوجداني: الذي يميل الى مشاركة الآخرين افراحهم واحزانهم، اجتماعي السلوك يحترم التقاليد ويرعاها، يشارك اصدقاءه في مسراتهم مغرم بتحقيق نزعتة الاجتماعية وتوسيع علاقاته مع الآخرين، يتجه عملياً الى التعبير عن حياته الانفعالية، ميلاً الى الاهتمام بالفنون المختلفة كالقصص والتصوير والموسيقى والتمثيل. وحين ينطلق في تعبيره الانفعالي يبدو وكأنه يريد تفريغ شحناته كلها بحيث لا يبقى منها شيئاً لحياته الخاصة، وهو اقرب الى الفوران الانفعالي في الظاهر واميل الى الخمود الانفعالي في داخل نفسه.

5 - النوع الانطوائي الحسي: حيث يكون ميالاً الى تأمل المحسوسات والاستمتاع بها ويحب الاستماع للموسيقى ورؤية المناظر الطبيعية ومباهج الجمال في صوره المختلفة، الا انه يرى في كل ذلك انعكاساً لحالاته النفسية الوجدانية، اذ يرى في تمايل الاغصان الامة وفي قطرات الندى دموعه واحزانه وفي خريف المياه

وانفجار البراكين ثورة انفعالاته. ولعل سر نجاح الشعر الذي ينظمه افراد من هذا النمط يكمن في قدرتهم على اسقاط صفاتهم النفسية الوجدانية على نواحي الطبيعة المتنوعة.

6 - النوع الانبساطي الحسي: ويتمثل في من تتوقف حياته النفسية على المؤثرات الحسية بحيث تستمر حيويته باستمرار المؤثرات وتنوعها عليه، غير ان صاحب هذا النمط السلوكي يتسرب الى نفسه الملل بسرعة، خاصة عند نضوب المؤثرات الحسية في محيطه فلا يمكنه ان يصبر على طعام واحد، ولا ان يعيش في مكان واحد او غرفة واحدة دون تغيير اوضاعها واثاثها بشكل يكاد يكون مستمراً، وعلى المنوال نفسه نجد شأنه في شرابه وملبسه وواجه متعه الاخرى. يمتاز بالسطحية في افكاره وانفعالاته، غير عميق في صداقاته او حبه او كراهيته، يشبه الطفل الصغير السريع الملل الميال للتنوع الكثير الحركة من مكان لآخر ومن لعبة لآخرى.

7 - النوع الانطوائي الالهامي: وهو على نقيض سابقه حيث لايبالي بالمؤثرات الحسية الخارجية، يحكم على الاشياء بسرعة وعنف ودون الاعتماد الى الادلة الحسية الواقعية، تتكون اراؤه عن الاشخاص من خبرة ضئيلة ويندفع في حب عنيف او كراهية عنيفة على اساس تلك الخبرة، يتقلب من حب شديد الى كراهية شديدة او العكس.

8 - النوع الانبساطي الالهامي: وهو اقدر على التعبير من سابقه، يصل بسرعة الى فكرة ما يقوم في الحال بتنفيذها، يبدو في

تصرفه شيء من روح المغامرة التي يتسم بها التجار او المكتشفون
او القادة الذين يقدمون على الحروب مع ايمان قوي منهم بالنتيجة
مع استعداد مادي ضئيل لا يكفي وحده لاحتراز النجاح.
هذه التصنيفات قلما نجدها واضحة بارزة في حياة الافراد
اذ نادرا ما نجد شخصاً يمكننا ان نقول عنه بانه انبساطي مفكر
فحسب او انطوائي الهامي بشكل مطلق. ولكننا نجد عادة غلبة
صفات نوع من هذه الانواع عليه بحيث يمكن تصنيفه تقريباً في
مجموعة دون الاخرى.

الشباب بين مشكلات الحاضر وآمال المستقبل

يقول الرسول الاكرم (ص): (اوصيكم بالشباب خيرا فانهم ارق افئدة، ان الله بعثني بشيرا ونذيرا فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ ثم قرأ قوله تعالى فطال عليهم الامل ففقت قلوبهم).

الاهتمام بالشباب ورعايتهم مسألة مهمة لانهم امل المستقبل وهم ورثة الحاضر ومسؤولو الغد ورجاله واليهم تؤول مسؤولية حمل امانة العمل الرسالي، وهم رمز الحيوية والنشاط وادوات التقدم والنمو والقوة، لذلك فان النجاح في اعداد الشباب وتربيتهم يؤدي الى نجاح المجتمع في مسيرته، من هنا كانت العناية بالشباب امرا ضروريا وحيويا لادامة مسيرة الحياة والمبادىء.

وليست مرحلة الشباب منفصلة ومستقلة عن غيرها من مراحل النمو، ذلك ان حياة الانسان سلسلة متصلة الحلقات تؤثر كل مرحلة في المراحل اللاحقة، وتتأثر بالمراحل السابقة. ومرحلة الشباب هي امتداد طبيعي للمراحل التي سبقتها، وكل مرحلة عمرية تترك اثارها في شخصية الفرد وتظل باقية في المراحل اللاحقة، ومن هنا كانت ضرورة الاهتمام بالفرد منذ نعومة اظفاره اهتماما صحيا وجسميا وعقليا يتمثل في التغذية وممارسة الرياضة والعلاج مما قد يتعرض له من امراض، وعقليا عبر تزويده بالمعلومات والحقائق وتدريب عقله على التفكير الموضوعي والاستدلال

العقلي والمنطقي والاستنتاج الصائب، ونفسيا عن طريق حمايته من مواقف الفشل والاحباط والحرمان والقسوة والافراط في التدليل، وتعويده على الضبط والطاعة واحترام النظام والقانون، ولا بد من اشباع حاجته الى العطف والحب والحنان واشعاره بقيمة نفسه واثاحة الفرص امامه كي تنمو شخصيته وتبرز قدراته ويتعود على تحمل المسؤولية، وتنمو خصائصه في التعاون والاخذ والعطاء والايثار.. هذه السمات اذا نجحنا في غرسها في شخصية الطفل فانها تظل باقية في مراحل عمره المقبلة..

اما الشباب وتطلعاتهم فتندرج ضمن شغفهم للوصول الى اعلى قدر من التعليم للالتحاق بعمل مناسب، ثم الزواج وتكوين الاسرة وما يتطلبه من توفير المستلزمات المناسبة لذلك، كما يتطلعون الى التمتع بالمكانة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية واعتراف المجتمع بهم واحترامه لارائهم وقبولهم كأعضاء نافعين فيه، ويرغبون ايضا في تحقيق الشعور بالانتماء الى المجتمع وللأسرة مع حبهم للتعبير عن فطرتهم بالطرق المشروعة والمقبولة خلقيا واجتماعيا، ويحتاجون الى تنمية قدراتهم وتطوير استعداداتهم ومواهبهم، كما يرغبون في الانفتاح على مختلف الثقافات العالمية في الوقت نفسه الذي يشعرون فيه بضرورة تحقيق قدر من الاستقرار النفسي والاطمئنان الى يومهم الحاضر وغدهم المقبل. ومشكلات الشباب كثيرة منها الاقتصادية والعاطفية والنفسية والاسرية والعقائدية والاخلاقية والمهنية والدراسية والجسمية، واطهر مشكلاتهم هي المشكلات النفسية كالقلق والتبرم والضعف

والحزن والاكتئاب وشروذ الذهن والاستغراق في احلام اليقظة
والخيال وعدم القدرة على التركيز والنسيان.

وهذا لا يعني بالضرورة ان كل شاب لابد من ان يعاني هذه
المشكلات كلها او بعضها، فهناك بلا شك من الشباب من تخلو
حياته منها وهناك من يعاني من بعضها بدرجات متفاوتة.

ولعل من اشد المشكلات تأثيرا في حياة الشاب هو ما يلقاه
من صعوبات وعوائق اجتماعية وادارية في طريق تحقيق حاجاته او
قضاء مصالحه، لذا ينبغي التخلص من وطأة الحياة الرتيبة وتحريره
مما يكبل حركته من قيود وأغلال وتحريره من العقد سواء عقدة
الخوف من تحمل المسؤولية او عقدة الذنب او الرغبة في الانتقام
من الغير.

ومن اجل تحقق كل ذلك لابد من التمرن على الصبر
والتحلي بالمثابرة والجلد والاصرار في طلب التغيير والتخلي
عن التراخي والتواكل وعدم المبالاة، والانصاف بالجد والاجتهاد
والكفاح والثبات على المبدأ والسعي لاكتساب المعارف والاهتمام
بتحصيل العلم والخبرات الفنية والمهنية وممارسة الهوايات النافعة
والانتفاع من اوقات الفراغ باحسن مايمكن.

ان تعلم المهارات والحرف والاعمال اليدوية الفنية الى
جانب العلم والثقافة العامة تعد في غاية الاهمية والضرورة خاصة
وان العمل من وجهة نظر الاسلام والمجتمعات المتقدمة واجب
وشرف وهو امانة وخير ونفع ومصلحة للناس والفرد، وهو الى
ذلك ضرب من ضروب العلاج النفسي لمن يمارسه، اذ يقضي

على اوقات الفراغ الباعث على الملل ويشعر صاحبه بالقيمة الاجتماعية، كما انه يمتص فائض الطاقة الجسمية والزمنية التي قد يضطر الفرد الى تصريفها فيما لا ينفع.

من محركات السلوك عند الأفراد

يعتقد بعض علماء النفس ان الانسان مدفوع بالفطرة الى تكييف نفسه مع المجتمع الذي يعيش فيه، ولذلك فهو بصدد اتباع السبيل الافضل للوصول الى ذلك وبما ان الحياة في تطور مستمر فهي في رقي دائم من الادنى الى الاعلى. وان ظاهرة الارتقاء وجدت منذ وجد الكون حتى في الظواهر غير الحية، واذا انتقلنا الى الانسان وجدناه يسير على القاعدة نفسها فهو ينزع الى الارتقاء والانتقال من حالة الضعف الى حالة القوة ومن حالة الخنوع الى السيطرة، ومن الاستسلام الى التسلط ومن النقص الى حالة الاكتمال. فالتخلص من الخنوع والنقص نزعه فطرية في الانسان، وهي في كل فرد تنحو منحى مختلفاً عن الاخر وهي عنده تكاد تتخذ شكلاً ثابتاً على العموم وهي ما نسميها باسلوب حياته او نمطه. هذا النمط او الاسلوب هو الذي تتحدد على خلفيته شخصية الفرد.

دواعي الشعور بالنقص:

ان ما يحمل الفرد على الشعور بالنقص قد يكون راجعاً الى عوامل مختلفة هي:
اولاً: جسمية كالفقر او الطول الخارقين او النحافة او

الضخامة او غير ذلك. كذلك الشعور بالنقص العضوي في الصغر، الامر الذي يحمل الفرد على النزوع الى الاكتمال ورفع النقص وهو ما يقوم به منذ الصغر، وقد يكون للنقص العضوي في الصغر اهمية خطيرة في ابراز النقص السايكولوجي لدى الفرد.

ثانياً: عقلية، كالتأخر الدراسي وضعف القدرة على التصرف وسهولة الانخداع بما يدور حوله.

ثالثاً: اجتماعية، كضمور الفرد وضآلة دوره في المجتمع وبين الآخرين او كونه منبوذاً وغير محبوب او لا ينال احترام المحيطين به او قليل الفائدة لهم.

ان نواحي النقص الثلاث تتداخل في الغالب من خلال الظواهر النفسية للفرد، اذ ان لنواحي النقص العقلي نتائج اجتماعية كما ان من الواضح ظهور العنصر العقلي في نواحي النقص الاجتماعية بدرجة كبيرة، وقد يكون شعور الفرد بنقصه في هذه الجوانب غير مطابق للواقع. فكثير من طلاب العلم مثلاً يقدرون انفسهم تقديراً يقع دون الحقيقة وسبب ذلك انهم يتوقعون لانفسهم مستوى عالياً جداً فيشعرون دائماً بالقصور دون هذا المستوى، ويحجم بعض الناس عن القيام بالاعمال التي تقع في مقدورهم خوفاً من عدم وصولهم الى المستوى التخيلي الذي حددوه لانفسهم، ولذلك يقال ان الاصرار على الكمال يتضمن الشعور بالنقص، والذين يسيطر عليهم هذا الشعور يفضلون الا يعملوا على ان يعملوا ويفشلوا.

وترافق هذه الظاهرة ظاهرة اخرى هي الحساسية الشديدة

للنقد عند بعضهم وهي تدل دائماً على شعور صاحبها بالنقص.
مواجهة حالات الشعور بالنقص:

هناك ثلاثة طرق يتبعها الفرد لمواجهة الشعور بالنقص:

1 - ان يحاول التعويض عن نواحي الضعف فيبالغ في تقويتها او في تقوية نواحي شخصية اخرى، كما حدث ذلك للرئيس الاميركي روزفلت الذي كان يمشي برجل اصطناعية نتيجة عجز جسمي كان يعاني منه، فقد عوض عن ذلك النقص بممارسة هواية ركوب الخيل الى درجة المهارة المتميزة، كما صار من لاعبي التنس، ثم صار رئيساً للولايات المتحدة الاميركية اكثر من مرة، وكذلك الحال مع (بتهوفن) الموسيقار المشهور الذي كان يعاني من صمم جزئي حيث تمكن من تاليف اروع القطع الموسيقية الخالدة، كذلك (ديموستينس) الذي كان يعاني منذ صغره من التهمة حيث اعتاد من اجل القضاء عليها على وضع الحصى تحت لسانه ظناً منه ان هذا يساعده على حل عقدة لسانه عند التمرن على الكلام وقد ثابر على هذا حتى تغلب بشكل نهائي على نقصه ذاك واصبح من خطباء التاريخ المعدودين.

2 - ان يفشل في القيام بتعويض ناجح مرض للنفس فيلجأ الى عملية تعويض تخرجه عن الحدود المقبولة في المجتمع ويسمى هذا النوع من التصرف بالتعويض الزائد، ونرى امثلة ذلك في سيرة الجبابرة والطغاة امثال صدام وهتلر وموسوليني وستالين، الذين اتجهوا بسياساتهم وتصرفاتهم منحى اجرامياً وعدوانياً متوحشاً، او الافراد الذين يشمخون بانوفهم وقد ملئوا بالكبر والغرور والاستعلاء

والاستهانة بالنظام والقانون واستسهلوا العبث بحياة الآخرين.

3 - ان يتكون في حالة الفشل مرض عصبي يخلص الفرد من عملية الكفاح ويعفيه من لوم نفسه او لوم الناس له، فالرجل الذي يرى نفسه يتأخر عن اقرانه في مضامير الحياة ثم يصيبه صداع دائم، يجد نفسه غير قادر على العمل والكفاح، وهو بذلك يجد لنفسه عذراً مقبولاً امام نفسه والناس، كما يجد الناس له عذراً في هذا التأخر، بل قد يصبح موضع اشفاقهم وانتباههم، وقد تحمله الحالة المرضية هذه للتوهم بانه لولا وجود هذه الحالة لاتي بالعجائب وخوارق الاشياء.

مستويات التكوين الخلقي لدى الفرد

يتنظم الاشخاص في مستويات متفاوتة بعضها فوق بعض من حيث التكوين الخلقي. فبعض الناس يخضع سلوكه لعوامل اللذة والالم، فيتجنب كل ما يسبب مضايقة جسمية ويقبل على ما يشعره باللذة بغض النظر عن رأي الناس فيه وعن رضاهم عنه او سخطهم عليه او ما يلحقه من ثواب او عقاب، يشبه في ذلك الطفل الصغير الذي يتلذذ ببعض المأكولات ويأنف ماعداها ويبيكي من الالم ويسر من اللذة، فاذا كبر نجده يقبل على اشياء يحتمل ان تكون مصدراً للذة، فيواجه عقاباً مؤلماً يوقع عليه ويجد نفسه احيانا مبتعداً عن مصادر الالم ويجد اغراء بالثواب اذا اتجه اليها. هذا المستوى الجديد من التنظيم في سلوك الفرد يثير في نفسه نوعاً من التردد ويستلزم الحسم في اتجاه دون آخر، وهو يمثل مرحلة سلوكية ارقى من المرحلة السابقة، فبعد ان كان الفرد يتجه متأثراً باللذة والالم الطبيعيين، اصبح من المحتمل ان يتجه نحو الالم ويتبعد عن اللذة، متأثراً بما قد يقع عليه من ثواب او عقاب من والديه او من سلطة المحيطين به في الاسرة.

وهناك مستوى ارقى من المستويين السابقين يتأثر فيها الفرد بما يصدر من السلطة المحيطة من المدح او الذم او من علامات الرضا او السخط، وبخاصة الطفل الذي يكون في السن بين

السادسة والثانية عشرة، حيث نجده يهتم برضا والديه، وعلامات الرضا والسخط تشبه الثواب والعقاب الا انهما يتطلبان مستوى ادراكياً ارقى مما يتطلبه الثواب والعقاب، فالاطفال يتحكم فيهم رضا الام وسخطها في مواقف معينة، ويحملهم على ضبط سلوكهم في تلك المواقف.

وبعد سن الثانية عشرة يكون قد خرج الى دور جديد ومستوى سلوكي اعلى، اذ يبدأ الاهتمام باصدقائه وزملائه، فيصبح لرضاهم وسخطهم وسخريتهم آثار قوية في توجيه سلوكه، فهو يرفض الملابس التي تنتقياها امه له لانها تثير سخرية اصدقائه مثلاً، ويحاول ان يلبس وفقاً لذوق جماعته، وبعد هذا المستوى من السلوك مغايراً لمستوى السلوك السابق، حيث تضعف سلطة الوالدين في التأثير على الفرد لمصلحة قوة تأثير الجماعة او الشلة عليه، وبعد المراهق في هذه المرحلة من السلوك مهتما برأي اصدقائه اكثر من اهتمامه بآراء والده او والدته، بل يحاول ان يتظاهر بتحرره من سلطة الوالدين لان في ذلك قليلاً من استقلاليته وموقعه الاجتماعي في جماعته، وفي هذه المرحلة يشتد الصراع وتعدد الاتجاهات فيقع المراهق بين ملذاته ومغرياته من ناحية وتأثره بسلطة والديه وهو مازال في حاجة اليهما من ناحية ثانية، وتأثره بسلطة الجماعة التي يشعر شعوراً قوياً بحاجته للانتماء اليها من ناحية ثالثة.

ونحن نجد فيمن نعرفهم من الناس من يتطابق سلوكهم بمجموعه مع هذه المستويات، فهناك الذي يسعى وراء اللذة ويتجنب ما يؤلمه، وهذا الشخص يعامل نفسه كما لو كان يعامل

طفلا مدللا يغدق عليه مايسره ويمنع عنه مايؤلمه ونجد منهم من يتطابق والمستوى الثاني من السلوك فلا يترد في اشباع ملذاته الا اذا وقع عليه العقاب، وبعض الناس لا يلتزمون باحكام الدين الا بسبب الخوف من العقاب والثواب المادي، ونجد منهم من يتوقف سلوكه على عبارات الرضا والمديح التي تصدر لهم من اصحاب السلطة المحيطة، ونجد ايضا الذين يسترشدون في اعمالهم برضا الناس وسخطهم فيقدمون او يحجمون بناءً على ذلك.

غير ان هناك مستوى سلوكي ارقى من كل هذه المستويات السابقة ويعدّ اعلى مراحل ومستويات التكامل الخلقي عند الانسان ويصل اليه الفرد عادة بعد ان يكون قد مر بجميع المستويات السابقة دون ان يثبت في واحدة منها، فضلا عن حاجته الى التأمل والتحليل وتجريد الافكار، اذ يصبح المثل الاعلى لسلوك الفرد حينئذ صورة معنوية مجردة قادرة على ان توجه الفرد في جميع تصرفاته واعماله بموجب الصفات التي ينتزعها او يستنتجها عبر قراءاته لقصص وسيرة الابطال والمصلحين، وهذا المستوى السلوكي شديد الارتباط بعاطفة اعتبار الذات الخاصة بالفرد، اذ ان فكرة المرء عن نفسه في ارقى المستويات الخلقية تكون محررة من الارتباط برضا المجتمع وسخطه او اثر السلطة، فالانبياء والمصلحون في كفاحهم التغييري يواجهون عنادا كثيرا من اهلهم وذويهم ومجتمعهم الذي يتسبون اليه، ولكنهم يمضون بناءً على المبادئ التي ارتضوها والعقيدة التي آمنوا بها قدما في طريقهم، على الرغم مما يواجهونه من التشهير والاضطهاد والتعذيب.

ان الانتقال من مستو خلقي ادنى الى مستو اعلى يتطلب تحرر الذات من ميدان ضيق واندماجها في ميدان اوسع، فهي تتحرر من اثر السلطة الفردية لتندمج في سلطة الجماعة وتحرر من سلطة الجماعة لتندمج في سلطة معنوية تعمل لخير الجماعات البشرية كلها.

وبناءً على ما تقدم يمر الفرد في نضجه بخمس مراحل او مستويات، يمثل الاهتمام باللذة الجسيمة اولى تلك المراحل والاهتمام بتحقيق المثل العليا آخرها وارقاها، وهو ما لا يصل اليه الا القليل من الناس.

تكامـل الشخصية وتحقق السعادة الفردية

للسعادة الفردية علاقة كبيرة بتكامل شخصية الانسان، وهي حصيلة التوافق التام بين نزعات الشخص وعواطفه واتجاهاته، وبتحقيق مثل هذا التوافق يتخلص الفرد من دواعي القلق والصراع والخوف، ويمكن توجيه الطاقة البشرية بما تتضمن من استعدادات وغرائز لتحقيق غرض واحد او اغراض متشابهة يشعر معها الفرد بتأديته لواجب مرتبط بفكرة خاصة عن النفس. او بعبارة اخرى تكون مرتبطة بعاطفة اعتبار الذات، فسعادة المرء في تكامل شخصيته وتحقيق ذاتيته، وشقاؤه في انحلال هذه الشخصية وضياع الجهد في نزاع نفسي داخلي.

ويمكننا ان نرى في الناس تدرجاً يمثل مستوياتهم من ناحية السعادة او الرضا فرضا الطفل يتم اذا كان متمتعاً بالدفع والشبع او مستغرقاً في اللعب والمرح، غير انه رضا مؤقت قصير العمر لا يكاد يخرج عن نطاق اللذة، وهناك الاشخاص الضعفاء الذين يشدون السعادة في ارضاء لذاتهم الوقتية او عمل ما تعودوا عليه مدفوعين بعاداتهم ونزاعاتهم لا لمبادئ او افكار سامية، واعلى من ذلك قليلاً نجد الشخص الذي لا يرى السعادة الا في اسعاد اولاده فان لم يكن قادراً على ذلك او ان ماتوا جميعاً اصبح شقياً لا يجد السعادة في امر اخر وهو نوع من السعادة محدود الوقت لا يرتبط

بافق اوسع من افق الاسرة.

ونجد ام الزوج في مجتمعنا يتولاها الحزن والكأبة بعد زواج ابنها فهي سعيدة مادام ابنها لها، شقية مادام ابنها لغيرها. ولكن الام في مجتمعات اخرى لها نشاط في ميادين اوسع من ميدان الاسرة، فهي هناك تنتمي عادة لجمعيات خيرية تفتح لها افقاً اوسع من افق الاسرة باتجاه الميادين الاجتماعية الاوسع، وهذا يضعف اهتمامها تلقائياً ازاء ابنها او زوجته. ونجد احياناً سعادة الفرد لا ترتبط بسعادة الاسرة فحسب، بل تمتد لتشمل سعادة العشيرة او الاقليم او الوطن، وحياناً نجدها تتسع اكثر من ذلك لتشمل الانسانية اجمع.

فاذا ارتفعنا عن اغراضنا الذاتية الشخصية وتجردنا من انانياتنا علونا الى مستوى الاسرة واذا تحررنا من التحيز للأسرة ارتفعنا الى مستوى العشيرة او الطائفة او الاقليم. وقد نقف عند مستوى الوطنية او القومية فنظن ان وطننا او قومنا هو الافضل ونظن اننا اعلى نوع في الجنس البشري، وقد نظن باننا جديرون بالسيطرة على العالم لتعليمه وتهذيبه وادخال افكارنا وعاداتنا في مختلف نواحيه عن طريق الاكراه، كما كان يفعل المواطن الانجليزي يوماً ما او الالماني ويفعله اليوم الاميركان. وهناك اتجاه يميل الى تجاوز الحدود الوطنية والقومية ليصل الى الوحدة العالمية والى سلام الانسان بغض النظر عن فوارق الوطن او العنصر او الاسرة او ذاتية الافراد.

والسعيد حقاً هو صاحب الشخصية القوية الذي يعمل دائماً

لتحقيق هدف اعلى والذي لا تتعارض حاجاته ورغباته مع مصالح الانسانية، والانبياء والرسل والائمة الاطهار هم امثلة على هذه النماذج البشرية فلم يكونوا ليهتموا لماكل او مشرب او ملبس ولم يشعروا بالشقاء بسبب الجوع او الالهانة او السجن ولم يؤثر في اتجاهاتهم كثرة الاولاد او فقدهم، وانما بقيت عوامل سعادتهم كامنة في جهادهم المتواصل وسعيهم الدؤوب في تحقيق افكارهم الانسانية الكبرى.

كان نبي الاسلام محمد (ص) يردد في اشد حالات الضغط الاجتماعي عليه قوله (الهي ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي) ثم يتجه اليه بالدعاء لقومه (ربي اهدي قومي فانهم لا يعلمون)، لقد كان الانبياء يستمتعون بالجهاد وتحمل المخاطر وكانوا يسعدون برؤية فكرتهم ورسالتهم تتحقق تحققاً فعلياً بين الناس، وقد يضمن بعضهم ان التعبير النفسي بالكتابة او الخطابة وامثالهما كاف لتحقيق السعادة، ولكن حقيقة السعادة الكاملة لا تتحقق الا بتحقيق الذات، وقد يتم ذلك بصورة جزئية عن طريق التعبير عن المشاعر النفسية، فسعادة المرء كامنة في تحقيق ذاتيته لا في مجرد التعبير عن نزعاته واتجاهاته النفسية.

وان السعادة ترتبط بسعة الافق الذي ارتضى الشخص لنفسه اداء واجبه فيه، وهذا يكون عن طريق فكرة واضحة تشغل ذهن الفرد ويتجه الى تحقيقها، وفي وجود مثل هذه الفكرة والرغبة في تحقيقها يتوافر الفرد على ارقى انواع التكامل الخلقي وهي تتضمن تحقيق فكرة السعادة.

نستنتج من ذلك انه ومن اجل ازدياد سعادة الشخص لا يجوز ان نزيد فقط في مجموع لذاته، وانما نعمل ايضاً على تحسين شخصيته وتقويتها وانسجام عناصرها وتوحيد وجهتها. ولذلك فان هدف التربية الاخلاقية عند علماء التربية الاخلاقية هو تكوين شخصيات قوية متماسكة، فيما يرى آخرون ان الغرض من التربية هو في سعادة الانسان بصفة عامة، غير ان الحقيقة هي ان تحقيق احد الهدفين يعدّ نتيجة طبيعية لتحقيق الهدف الاخر.

تفسير السلوك اللاشعوري عند الفرد

يظن اغلبنا انه يتصرف دائماً عن تفكير ووعي مسبق بالامور، وانه قادر دائماً على معرفة دوافع سلوكه وتوجيهها شعورياً، غير ان الواقع غير ذلك غالباً. فالانسان يجهل اغلب دوافعه او يتنحل ان سئل عن دوافع اخرى غير دوافعه الحقيقية، وقد لا تكون لها صلة على الاطلاق بسلوكه.

فكم من اناني لا يشعر بأنانيته وكم من بخيل او مغرور او معتد لا يفتن الى بخله او غروره او عدوانيته، وكم من متيم بالحب ينكر ان للحب تأثيراً فيه، والواقع ان قليلا من الناس يعرفون دوافعهم كما هي عليه، ويرون انفسهم كما يراهم الآخرون، واغلب الامر ان يكون الحق في جانب الآخرين ولكن اكثر الناس لا يشعرون. شبه احد علماء النفس ما يحدث من ضغوط على نزعات الانسان وغرائزه الباحثة عن اشباع باقامة سد في طريق تيار قوي من الماء، فالطاقة الغريزية في صورها الفطرية تتدفق بقوة وعفوية للتعبير عن نفسها عن طريق الاتصال بالمحيط، وتشبه في هذا تيارا قويا من الماء يتجه في اتجاه معين، فاذا اقيم السد في طريق هذا التيار بغض النظر عن تدبير وسيلة لتصريف ما يجتمع خلف السد من الماء فان نتيجة هذا ستكون حالة من ثلاث حالات:

الاولى: قد لا يكون السد متينا فلا يتحمل ضغط الماء من

خلفه فيتصدع من حين لآخر، ويتدفق الماء بعنف شديد، ويشبه هذا ما يحدث مع أبناء المتمسكين بالدين والاخلاق تمسكا استبداديا فيضغطون على حرية اولادهم حتى تفسد اخلاقهم، فينتهز هؤلاء الاولاد اول فرصة فيندفعون لتحقيق غرائزهم المكبوتة، ويفعلون ذلك عادة بصورة عنيفة متطرفة، ولهذا كان لزاما على طرق التربية الحديثة ان تفتح مجالات بريئة لتصرف الطاقة الغريزية المخزونة في الانسان بشكل ايجابي كأن تقام للشباب مجالات وفرص للتنافس البريء والمباريات والرحلات والحفلات السليمة.

الثانية: قد يكون السد قويا وتكون التربة التي يجري فيها ضعيفة فتسمح بتكوين القنوات والطرق الخفية الامر الذي يفرز بعض النتائج اهمها: زيادة اضعاف التربية واحتمال بروز مشكلات يصعب التبو بمقدارها او بموضوعها مما يزيد في صعوبة التغلب عليها، وهذا يذكرنا بما نراه في بعض الاولاد الذين يضغط عليهم آباؤهم ضغطا شديدا يؤدي الى ان يتظاهر بالادب والطاعة ولكنه يفعل في الخفاء ما لا يفعله امام والديه، وقد يطلع الوالد على عيوب ابنه بعد حين وبعد ان تمكنت من نفسه تماما، حينذاك يجد الوالد نفسه في حيرة من امره فهو لا يعرف ما اذا كان قد كشف كل عيوب ابنه ام لا، لانها تظهر كالانفجارات بغير ضابط.

الثالثة: قد يكون السد منيعا والتربة قوية وبذلك ينجح السد في منع ما وراءه من تيارات متدفقة وزيادة على ذلك فان ازدياد المقاومة بين السد والتيار يترتب عليه ازدياد قوة السد نفسه، وكذلك يترتب عليه ازدياد في شدة التيار وبخاصة خلف

السد، وكلما قوي السد ازدادت شدة التيار، وفي العادة لا تستمر هذه الحالة طويلا، فينتهي الامر ان عاجلا او آجلا بأنهار السد وتصدع التربة وضياع الماء هباء، وفي مثل هذه الحالات من الصراع الانساني نجد ان الامر ينتهي بالانهيار النفسي على الصور التي نراها عادة في مستشفيات الامراض العقلية، او عند مراجعي العيادات النفسية.

ولابد لنا من التأكيد بان التشبيه الذي ذهب اليه عالم النفس هذا يتضمن بعض النقص، فليس من الممكن دائما ان نعقد موازنة تامة بين كل حالات الصراع النفسي وكل الحالات التي يمكن ان نجدها من اقامة سد في وجه تيار مائي متدفق، ولكن يوقفنا على صورة تقريبية لطبيعة الخلل الذي تصاب به شخصية الفرد حينما تحول عوامل محيطية او تربوية خاطئة دون اشباع نزعاته الفطرية وبالشكل الذي يؤدي الى نتائج تضر بالتكوين النفسي له، وتظهر آثارها في تصرفاته وسلوكه. ولا يعني هذا اطلاقا ان علاج ذلك يكون بترك الامور للنشأة ليشبعوا نزعاتهم الغريزية بالشكل الذي يحلو لهم دون رادع او ضابط من دين او عرف وعلى حساب قيم المجتمع، بل يعني تنظيم اشباعها بالطرق المقبولة والمستساغة بعيدا عن وسائل الضغط والتعسف والاستبداد، وبالشكل الذي تجني من خلالها المجتمعات منافع وثمارا جمة، وتحقق للفرد حالة من الاستقرار والطمأنينة النفسية والرضا.

